

البَابُ السَّادِسُ

الوَهَّابِيَّةُ

آثَارُهَا

بِمَا كُتِبَ عَنْهَا

عقيدتنا

هذه عقيدتنا في الكتب التي بين أيديكم ، فان كان فيها ما يخالف كتاب الله فردّونا عنه .. والحكم بيننا وبينكم كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة .

اتنا لم نطع « ابن عبد الوهاب » ، وغيره ، إلا في ما أبدوه بقول من كتاب الله وسنة رسوله .

... وقد جعلنا الله ، أنا وآبائي وأجدادي ، مبشرين ومعلمين بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح .

ومنى وجدنا الدليل القوي في أي مذهب من المذاهب الأربعة ، رجعنا إليه وتمسكنا به .

وأما إذا لم نجد دليلاً قوياً ، أخذنا بقول الإمام أحمد .
فهذا كتاب « الطحاوية » ، في العقيدة ، الذي نقرأه ، وشرحه : للاحناف .
وهذا تفسير « ابن كثير » ، وصاحبه شافعي ..

— الملك عبد العزيز —

من خطبتين له في مكة ، لإحداهما عام ١٣٥٣ هـ .

الوهابي

إن كنت تابع د أحمد ، متوهاباً
فأنا المقرّ بانني د وهابي ، !
أنفي الشريك عن الإله فليس لي
رب سوى المتفرد الوهاب .
لا قبة ترجي ، ولا وثني ، ولا
قبر له سبب من الأسباب
والابتداع وكل أمر محدث
في الدين ، ينكره أولو الألباب ..
وأمر آيات الصفات ، كما أنت ،
بخلاف كل مؤول مراقب ..

ملا عمران بن رضوان

الفصل الأول

تعريف أهل السنة - الحنابلة وأهل الحديث . الوهابيون :
حنابلة دعوا الى الاجتهاد وفتحوا الابواب بين المذاهب
الاربعة . صفة الحركة الوهابية - الوهابية في اللغة

توطئة

ينقسم المسلمون في العالم الى قسمين كبيرين ، وهما :

١ - السنيون ، أو « السنة » .

٢ - الشيعيون ، أو « الشيعة » .

وهناك فرق صغيرة ، تعرف بأسمائها ، قد يدخلها بعضهم تحت اسم الشيعة خطأ ، لأن الشيعة المعتدلين ليسوا بعيدين عن أهل السنة ، بينما تختلف الفرق المذكورة عن السنة اختلافا كبيرا .

والسنيون هم أكثرية المسلمين الكبرى في العالم ، ويتوزعون في أربعة مذاهب مشهورة :

١ - المذهب الحنبلي

٢ - المذهب المالكي

٣ - المذهب الحنفي

٤ - المذهب الشافعي

وهذه المذاهب الأربعة كلها متفقة في الأصول ، وفي كثير من الفروع ، وليس بينها اختلافات كبيرة الخطر .

تعريف أهل السنة

يطلق اسم السنة ، أو السنين أو أهل السنة ، على المسلمين الذين يتبعون أحد المذاهب الأربعة المذكورة .

وإذا أردنا تعريف السنة تعريفاً موضوعياً ، لا من خلال المذاهب التي ينتمي إليها أهلها ، قلنا ، مع « ابن غنام » ، ان المراد بالسنة : طريق النبي (ص) . ، التي كان عليها هو وأصحابه ، السالمة من الشبهات والشهوات .

ثم صارت السنة ، في عرف كثرة من العلماء المتأخرين ، هي السالمة من الشبهات في الاعتقادات ، خاصة في مسائل الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة .

الحنابلة والسلفية

اشتهر الحنابلة بأنهم أكثر أهل السنة تمسكاً بالحديث وبما كان عليه السلف الصالح ، ولذلك سموم : أهل الحديث ، والسلفين ، مع أن طريقة أهل الحديث أو السلفية ، لا يخلو منها مذهب سني ، ويعرف أصحابها بتعلقهم بالاسلام في صفائه الأول وبساطته ، وانكارهم البدع ، وكرهيتهم للطرق والزوايا .. والدرابيش .. والفقراء أو الصوفية .. والمتكلمة .

ويصف ابن سند أهل الحديث بالشدة ، وأنهم كانوا ، منذ زمن الدولة العباسية ، يثورون على الخلفاء ، بسبب أن الجهاد في اعتقادهم ركن من أركان الدين .. وكانوا يسمونهم : « الحنابلة » ، و « أهل الحديث » ، في ذلك الزمن ، ويقولون :

« قام الحنابلة ، وثار الحنابلة ، وكسر الحنابلة حانات الخمر ، وأدّبوا على شربها .
وكان بينهم وبين العباسيين مقاتلات وحروب .

ثم ثارت منهم فرق بالشرق وبجزيرة الأندلس ، ويسمون : « الظاهرية » ،
وهم أيضاً أهل الحديث ، وكانوا ينكرون المناكير مع الغلاظة ، ويشيرون على
الملوك وأكثرهم يموت بين قتيل وطريد ..

ثم في دولة يوسف صلاح الدين ، ظهرت لهم فرق ، وكانوا يسمون أهل الحديث ،
ولهم ثورات وعداوات مع الملوك أيضاً ، وينكرون المنكر مع الغلاظة ..

وتسلسلوا إلى زمن ابن تيمية الحراني وتلاميذه ابن مفلح وابن القيم وابن عبد
المهدي .

ثم ظهرت هذه الفرقة .. في القرن الثاني عشر ، ويسمون : « الوهابيين » ،
نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب ، والاف في الحقيقة أفعالهم وآثارهم أفعال الحنابلة
الأقدمين ، وهي أفعال أهل الحديث في القرون المتوسطة وأفعال أهل الظاهرية ،
فالمعنى واحد ، وإنما في كل عصر يسمون باسم ، على اصطلاح ذلك العصر .

لا يرى ابن سند ، في وصفه لأهل الحديث ، إلا ما كان من ثوراتهم على الملوك
وشدتهم في الإنكار على الناس ، وما ظهر من غلاتهم الذين تجاوزوا الحدود المعقولة
أحياناً ، ومن المؤسف أنه لا يذكر في جانب ذلك : دفاع أهل الحديث عن حقيقة
الإسلام ، وحياطتهم له بقلوبهم وأفكارهم وأقوالهم وجهودهم ودمائهم .. ويغفل
ابن سند ، بأسلوبه المتحيز الظالم ، الجانب الأهم من فكرة السلفين أو أهل
الحديث ، وهو الجدير بالإعجاب والتقدير : جانب التمسك بصفاء الإسلام ،
وبفضائل الإسلام والابتعاد عما نهى عنه الإسلام وأنكره ، ومكافحة البدع
والأباطيل التي لحقت بالإسلام في العصور المتأخرة ، فعصفت به أو كادت ..

ومهما يكن الأمر ، فقد أحسن ابن سند بتبنيه على أن الفكرة السلفية بقيت
متصلة مستمرة خلال العصور ، حتى صار مشعلها إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

الوهابيون .. حنابلة . وليسوا مذهباً خامساً

كان أهل نجد ، حين أظهر فيهم الشيخ دعوته الإصلاحية ، حنابلة ، ولكنهم كانوا ، في كثيرتهم ، حنابلة ، بالاسم فقط ..
ولما قبل أهل نجد زعامة الشيخ وأفكاره سماهم خصومهم : « الوهابيين » ،
ليوهمو الناس أنهم خرجوا من « حنابليتهم » ، وأصبحوا فرقة جديدة أو مذهباً
خامساً ..

والحقيقة هي أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يخرج أهل نجد من الحنبلية
أو السلفية ، وإنما أعادهم إليها بعد أن خرجوا منها وابتعدوا ، في كثيرتهم ، عن
الاسلام نفسه ..

كانوا يظنون لجهلهم ان الاسلام والحنبلية ما كانوا عليه ، فلا غرابة في أن يعد
بعضهم ما جاء به الشيخ مذهباً جديداً ، مع أنهم كانوا غارقين في بحر البدع
والشركات التي ينكرها المذهب الحنبلي الصحيح ، الذي أعادهم الشيخ إليه .
قال الشيخ ، في رسالة الى ابن سحيم :

« .. إنا لما أنكرنا عبادة غير الله ، بالغم في عداوة هذا الأمر وإنكاره ، وزعمنا
انه « مذهب خامس » ، وانه باطل .

أفاذا قام من يبين للناس التوحيد ، قلتم انه مغير للدين ، وآت بمذهب خامس ؟ .. »

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

حنبلي متبع ، وليس صاحب مذهب ..

قال الشيخ ، في رسالة الى علماء مكة :

« وأنا أخبركم بما نحن عليه ، بسبب أن مثلكم ما يروج عليه الكذب : على أناس
متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام .

فنحن ، والله الحمد ، متبعون لا مبتدعون ، على مذهب الإمام أحمد . »

الشيخ لا يدعو الى فقيه او صوفي
ودعوته الى الله ورسوله

وقال الشيخ ، في رسالته الى السويدي :
« .. عقيدتي وديني الذي أدين الله به هو: مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه
أئمة المسلمين ، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم ، الى يوم القيامة .
.. ولست أدعو الى مذهب صوفي .. أو فقيه .. أو متكلم .. أو إمام من
الأئمة الذين أعظمهم ، مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم ، بل أدعو الى الله
وحده لا شريك له ، وأدعو الى سنة رسول الله (ص) . التي أوصى بها أول أمته
وآخرهم . »

ولكن الشيخ لا يقلد ..

الشيخ حنبلي ، ولكنه متبع ، غير مقلد ، فهو - كما يقول ابن غنام - وان
كان : « التزم بمذهب ، فلا يقدمه على النص القاطع ولا يتعصب .. ولكنه يختار
من الأقوال ما هو أصوب ، ومن الحكم ما هو أوفق بالشريعة وأنسب . »
وليس من شروط الحنبلي أن يكون مقلداً لمؤسس المذهب في كل شيء ، بل
ان الإمام ابن حنبل نفسه نهى عن التقليد ، وشدد في ذلك ، فقال :
« لا تقلدني ، ولا تقلد مالكاً ، ولا الشافعي ، ولا الثوري ، وخذ من حيث
أخذوا .. » .

وهكذا كان شأن أصحاب المذاهب السنية الأخرى ، كلهم نهى عن التقليد .
قال مالك : « اما أنا بشر ، أصيب وأخطئ ، فأعرضوا قولي على الكتاب
والسنة . »

وقال الشافعي : اذا صح الحديث ، فاضربوا بقولي الحائط .
وقال أبو حنيفة : هذا رأيي ، فمن جاء برأي خير منه قبلناه .
والحق ان المقلد كمن يضع عصاة على عينيه فيرتد أعمى ، لا يعرف إلا ما يقوله

صاحب مذهبه ولا يطيع غيره ، وقد ثبت - كما يقول ابن قيمية - « ان الله فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله ، ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه ، في كل ما يأمر به وينهى عنه ، إلا رسول الله (ص) . » .

لذلك قال الشيخ ، في إحدى رسائله ، مخاطباً مناظره من كل مذهب :
« أشهد الله وملائكته وجميع خلقه ، ان أنا منكم كلمة من الحق ، لأقبلنها على الرأس والعين ، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي ، حاشا رسول الله (ص) . فانه لا يقول إلا الحق . »

وقال الشيخ أيضاً :

« لا اختلاف بيني وبينكم ، أن أهل العلم اذا أجمعوا وجب اتباعهم .
واما الشأن اذا اختلفوا :

هل يجب عليّ أن أقبل الحق ممن جاء به ، وأردّ المسألة الى الله ورسوله ، مقتدياً بأهل العلم ؟

أم أتعل بعضهم ، من غير حجة ، وأزعم ان الصواب في قوله ؟
فأنتم على هذا الثاني ..

وأنا على الأول ، أدعو الله ، وأناظر عليه . »

فتح باب الاجتهاد

وبذلك ثار محمد بن عبد الوهاب على مظاهر الجمود والتقليد الأعمى والتعصب المطلق للمذهب ، التي كانت الطابع الواضح لكثير من المسلمين في العهد العثماني ، زمن الشيخ وبعده ، بل كان بهذا العمل أول من فتح الأبواب بين المذاهب الأربعة ، بعد أن أغلقها المقلدون الجامدون على أنفسهم ، وأول من ذكر بأن الاجتهاد واجب على كل مسلم ما استطاع ..

وكان أول من حذر في هذه العصور المتأخرة من « فتنة عمّت فأعمت ، ورمّت القلوب فأصمّت » ، وهي ترك أحاديث الرسول واتباع أقوال بعض العلماء المتبوعين ، وان كانت مخالفة للحديث .

وقد أورد بن اغنام كلاماً كثيراً للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في ضرورة التمسك بالكتاب والسنة ، وعدم التقليد بما يقوله أي من الناس مهما يكن جليلاً ، لأن التقليد انحراف خطير ، وروى عن الامام أحمد قوله : « من قلة فقه الرجل أن يكون يقلد في دينه الرجال » .
ثم قال :

.. قد بين الشيخ ، رحمه الله ، في بعض رسائله التقليد الممنوع ، والمأذون فيه ، والمباح . فقال :

.. ان الله سبحانه فرض علينا فرضين :

الأول – اتباع رسول الله (ص) . وترك ما خالفه في كل شيء .

الثاني – فرض علينا في كل مسألة تنازعنا فيها أن نردها الى الله والرسول .

قال تعالى : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » .

وخاطب بها جميع المؤمنين ، المجتهد وغيره .

ولكن نقول : عليك تقوى الله ما استطعت ، وذلك أن قطلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة ، على قدر فهمك ، فما عرفت من ذلك فاعمل به ، وما لم تعرفه واحتجبت فيه الى تقليد أهل العلم قلدتهم ، وما أجمعوا عليه فهو الحق ، وما تنازعوا عليه فردوه الى الله والرسول .

وأما أخذ الانسان ما اشتبهت نفسه ووجد عليه آباءه ، وترك ما خالفه من كلام أهل العلم ، وغفلته عن كلام الله ورسوله ، واستهزاؤه بمن طلب ذلك ، فهذا هو الضلال ..

.. قال النبي (ص) . : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

والتفقه في الدين ، معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية .

لكن من الناس من قد يعجز عن معرفة الأدلة التفصيلية ، في جميع أموره ،

فيستقط عنه معرفته ويلزمه ما يقدر عليه .

وأما القادر على الاستدلال ، فقيل : يحرم عليه التقليد مطلقاً ..

وقيل : يجوز مطلقاً ..

وقيل : يجوز عند الحاجة ، كما اذا خاف الوقت عند الاستدلال - وهذا القول
أعدل الأقوال .

والاجتهاد ليس هو أمراً واحداً ، فيقبل التجزئ والانقسام ، بل قد يكون
الرجل مجتهداً في فن أو باب أو مسألة دون فن أو باب أو مسألة ..
فمن نظر في مسألة تنازع فيها العلماء ، ورأى مع أحد القولين نصواً لا يعلم لها
معارضاً :

فاما أن يتبع القول الذي ترجع في نظره بالنصوص الدالة عليه .. فهذا هو
الذي يصلح .

واما ان يتبع قول القائل الآخر ، بمجرد كونه الامام الذي اشتغل على
مذهبه .. ومثل هذا ليس بحجة شرعية ، بل مجرد عادة .. لاشتغاله على مذهب آخر .
قد يقال : ان نظر هذا قاصر ، وليس اجتهاده تاماً في هذه المسألة ، لضعف
آلة الاجتهاد في حقه .. وقد يكون للقول الآخر حجة راجحة على هذا النص
لا يعلمها ..

فهذا يقال له : قال الله تعالى : « فالتقوا الله ما استطعتم » ، وقال النبي (ص) :
« إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » ، والذي تستطيعه ، من العلم والفقه في
هذه المسألة ، قد ذلك على القول الراجح ، فعليك اتباعه .

ثم ان تبين لك ، فيما بعد ، أن للنص معارضاً راجحاً ، كان حكمك حكم
المجتهد إذا تغير اجتهاده ، وانتقال الانسان من قول الى قول ، لأجل ما تبين له
من الحق ، هو محمود فيه .

أما ترك القول الذي توضحت حجته ، لمجرد عادة ، أو اتباع هوى ، فهو
مذموم .

في مجبوحه المذاهب الاربعة

والخلاصة : ان الشيخ ، ومن تابعه ، هم من أهل السنة والجماعة : في الأصول ،
وهم على مذهب ابن حنبل : في الفروع ، ولكنهم غير مقلدين له تقليداً أسمى ،

« فإذا صح لهم نص جلي ، من كتاب أو سنة ، غير منسوخ ، ولا مخصص ، ولا معارض بنص أقوى منه ، وقال به أحد الأئمة الأربعة ، أخذوا به وتركوا المذهب ، كارت الجدة والاختوة ، فانهم يقدمون الجد بالارث ، وإن خالف ذلك المذهب . »

وليس صحيحاً أنهم يلتزمون أقوال ابن تيمية أو ابن القيم أو غيرهما التزاماً مطلقاً ، قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب :
« وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه إماماً حق من أهل السنة ، وكتبهم عندنا من أعز الكتب ، إلا أنا غير مقلدين لهم في كل مسألة ، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك ، إلا نبينا محمداً (ص) .

ومعلوم مخالفتنا لهما في عدة مسائل ، منها :

١ - طلاق الثلاث بلفظ واحد في مجلس . فإننا نقول به تبعاً للأئمة الأربعة .

٢ - ونرى الوقف صحيحاً .

٣ - والنذر جائزاً ، ويجب الوفاء به في غير معصية .

وما يزال موقف الوهابيين - ولا أخرج من استعمال هذه الكلمة ، بعد أن توضحت واستبان حقيقتها - في هذه الأيام ، كما أراده الإمام محمد بن عبد الوهاب : التمسك بكتاب الله وسنته ، وقبول الحق من أي مذهب من المذاهب الأربعة ، ولعل أبلغ دليل على ذلك ، ما نقلناه ، بين يدي هذا الباب السادس ، من خطب المغفور له الملك عبد العزيز .

صفة الدعوة الوهابية

ما هي صفة الحركة الوهابية ؟

لقد تساءل غير واحد من المؤلفين هذا السؤال ، وكانت الأجوبة مختلفة .. فبعضهم يرى أنها حركة دينية خالصة ، تريد الرجوع بالإسلام إلى صفائه الأول ، وأنها لذلك كافحت الشرك في كل ألوانه وأنكرت البدع التي أحدثت بعد النبي (ص) .

وبعضهم يرى أنها حركة سياسية ، غايتها فصل نجد والبلاد العربية عن الخلافة العثمانية ، وإقامة حكومة عربية مستقلة ، وأن الدين لم يكن إلا وسيلة لتحقيق هذا الغرض .

وآخرون يرونها مزيجاً من الدين والقومية ، لأنها كافحت في الميدانين لتحقيق غايات دينية وقومية ، وألفت حكومة ، وأوجدت نظاماً مبنياً على الإسلام ، ضمن الإطار السلفي .

ويقول المستشرق الفرنسي « هنري لاوست » :

إن روح الحركة الوهابية ومعناها لم يتحددا في وضوح كامل .

يقال حيناً إن الوهابية حركة دينية غايتها إعادة الإسلام إلى صفائه الأول .

وتعرف حيناً آخر بأنها حركة تطهير ، يغلب عليها التشدد ، وترفض ،

كالبروتستانتية ، عقيدة تقديس الأولياء ، وتكافحها كفاحاً لا هوادة فيه .

وكل هذا إنما هو محاولة لتعريف الوهابية ببعض صفاتها الثانوية المتفرعة عنها ،

كما رآها أعداؤها ، أو كما أظهرها الغلاة من أتباعها ..

ولا سبيل إلى فهم الحركة الوهابية وتعريفها تعريفاً صحيحاً ، إلا بالرجوع إلى

كتاب « السياسة الشرعية » ، لابن تيمية ، ومتى فعلنا ذلك استطعنا أن نعرف

الوهابية بأنها :

حركة إصلاح وتجديد ، سياسية ودينية ، ترمي إلى إنشاء دولة إسلامية على

الأسس التي أوردها ابن تيمية ، في كتاب « السياسة الشرعية » .

وحسبنا أن نقرأ المجموعات التي نشرتها الحكومة العربية السعودية باسم :

« مجموعة الرسائل والمسائل النجدية » ، حتى ندرك تماماً أن الأفكار الوهابية

مستمدة من « السياسة الشرعية » و « الحسبة » لابن تيمية ، و « الطرق الحكيمة » ،

لابن القيم الجوزية .

رأينا

وعندنا أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: عودة إلى الإسلام في أول أمره

ومطلع فجره ، ومتى قلنا ذلك كفينا أنفسنا عناء الجدل العقيم .
ذلك أن من دعا الى الاسلام الأول ، فإنما يدعو الى الاسلام كما كان يرى في
في المدينة ، في عهد الرسول (ص) . ثم في عهود الخلفاء الراشدين .
كان المسلمون يومئذ يقرأون القرآن ، لا دلائل الخيرات ونحوها ..
وكانوا يروون الأحاديث ، لا قصص الطواغيت والخرافات ..

وكانوا يقولون : « لا إله إلا الله » ، بقلوبهم ، لا على أطراف ألسنتهم ، وكانوا
يفهمون معناها ويعملون بمقتضاها ، فما كانوا يعبدون إلا الله وحده .. لا يشركون
معه الصالحين ولا الشياطين ، وما كانوا يقيمون المباني والقباب على أضرحة الأولياء ،
ليدعوا أصحابها ويندروا لهم ويستشفعوا بهم ، كأنهم ، وهم رمم بالية ، قادرين
على جلب الخير ودفع الضر !

كان المسلمون يصلون ويذكرون ويحجون ويصومون ، وكانوا يجاهدون ،
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ..

وكان الأئمة في بلاد الاسلام يسوسون الناس بالشرع ويأمرونهم بأوامر
الشرع وينهونهم عن نواهي الشرع .

ثم غابت هذه الصورة الكريمة للاسلام الأول ، وحلت محلها صورة زوهاد
تعاون على صنعها : الجهل والفساد ، فعاد الناس الى ما يشبه « الجاهلية » ، التي
سبقت الاسلام ..

وحركة محمد بن عبد الوهاب هي حركة تجديد وتطهير : تجديد وإحياء لما أهمله
المسلمون من أمور الاسلام وأوامره ، وتطهير للاسلام بما أدخلوه عليه من
الشركيات والبدع !

ولم تكن دعوة محمد بن عبد الوهاب دعوة « فيلسوف » معتزل في غرفته ،
ولكنها كانت دعوة زعيم مصلح ، يكافح دون عقيدته ، ويعمل لها بلسانه ويده ،
وبكل قلبه ، وبكل عقله ، وبكل جهده .

ان دعوة محمد بن عبد الوهاب ليست « نظرية » أو كتاباً ألفه ليقراه الناس ،
ولكنها منهاج رسمه ، وقام وراءه يدعو الى العمل به ، بالموعظة أولاً ، ثم بالقوة ..

قوة دولة الإسلام التي قامت على أساس الشرع وحده .
فمنهاج الشيخ ليس إصلاحاً دينياً خالصاً ، بالمعنى الذي يفهمه الأوروبيون اليوم ،
لأنهم يفرقون بين الدين والدنيا ، ويجعلون الدين صلة خاصة بين العبد وخالقه ،
لا يُحمل الناس على اتباعه بالقوة ، ثم هم يفرقون بين الدين (أو الشرع) وبين
القانون ، ويقولون ان الدولة تلزم الأفراد بالقانون الذي تضعه هي لهم ، ولكنها
لا تلزمهم بالشرع ، بل قد يخالف قانونها الشرع !..
ان الاسلام وحدة ، دين ودنيا ، ودعوة الشيخ ، لذلك ، دعوة جامعة ،
للأمور الدينية والسياسية .

وخلاصة القول :

ان الوهابية حركة قامت بنشر التوحيد ، وكافحت الشرك والبدع ،
واستأنفت الجهاد ، وأنشأت دولة اسلامية على اساس الشرع وحده .
ونحن ، بعد هذا ، نتفق مع القائلين بأن منهاج الحكومة الوهابية ، كان
مستمداً ، في كثير من أموره ، من أفكار ابن تيمية في « السياسة الشرعية » ،
وغيرها من كتبه ، ومن أفكار تلامذته ، وخصوصاً ابن القيم .

الوهابية في اللغة

يستنكر المؤرخ المعروف محمود شكري الألوسي ، تسمية أتباع الإمام
الشيخ محمد بن عبد الوهاب « بالوهابية » ، أو « الوهابيين » ، وبعدها نسبة غير
صحيحة ، لأن « النسبة في الحقيقة إنما هي إلى الشيخ محمد ، لأنه هو الذي دعا
الناس إلى ترك ما كانوا عليه من البدع والأهواء ، ونَصَرَ السنة وأمر باتباعها ،
وقد خالف أباه فيها كان عليه وجرت بينها مناظرات ... »

وجارى الألوسي في هذا الإنكار الشيخ محمد حامد الفقي ، فقال في كتابه
« أثر الدعوة الوهابية » : « الوهابية ، نسبة إلى الإمام المصلح شيخ الاسلام محمد
ابن عبد الوهاب ، مجدد القرن الثاني عشر ، وهي نسبة على غير القياس العربي ،
فلقد كان الصحيح أن يقال : « المحمدية » ، إذ أن اسم صاحب هذه الدعوة والقائم

بها هو : « محمد » لا « عبد الوهاب » ... »

وعندنا أن هذه النسبة صحيحة في اللغة ، فالرجل قد يعرف - ويكنى - باسم أبيه أو ابنه ، « فالحنابلة » ، مثلاً ، منسوبون إلى « احمد بن محمد بن حنبل » ، ولم يقل أحد : كان يجب أن يسموا « الأحمديين » لأن احمد هو صاحب المذهب ، لا جده « حنبل » !

والأمثلة على ذلك كثيرة لا نحصى ا

وأكبر الظن أن السبب في تركهم النسبة إلى « محمد » ، هو الخوف من الالتباس ، لأن كلمة « محمديين » نعم المسلمين كلهم ، على اختلاف مذاهبهم ، وقد أرادوا تسمية أتباع محمد بن عبد الوهاب باسم يختصون به دون غيرهم ، فنسبوههم إلى « ابن عبد الوهاب » ، فقالوا : وهابيين .

والمسألة ليست مسألة لغوية ، ولا مسألة مفصلة بين النسبة إلى محمد وبين النسبة إلى أبيه ، وإنما هي مسألة « مياسية » - إن شئت - ، وصورتها : هل يجب أن يطلق على دعوة الشيخ محمد اسم خاص أم لا ؟

كان جماعة الشيخ يعرفون أنفسهم باسم « المسلمين » أو « الموحدين » ، ولكن نفراً من مسلمي الاقطار الإسلامية الأخرى ، الذين تفرقوا شيعاً ومذاهب وطرقاً ، وتسموا بأسماء متنوعة ، ظنوا أن الشيخ محمد خرج بمرسته عن المذاهب المعروفة ، وأنشأ مذهباً جديداً ، فسموه : « المذهب الوهابي » ، أو « الوهابية » ..

يقول الفقي :

« لننظر كيف ، ولماذا أطلق هذا اللقب على هذه الدعوة والقائمين بها ، علنا نوقف القارئ على بعض السر الذي دعا الى استعماله ، ثم الى شيوعه في الأقطار العربية وغيرها ، إلا نجداً وما يتصل بها ، فان من أعجب العجب أنك لا تجد لهذا اللقب أثراً فيها ، ولا عند النجديين النازحين عنها الى غيرها للتجارة أو الإقامة والاستيطان ، لا بل والأعجب من هذا أنهم يستكرون ذلك ممن يخاطبهم به ، أو ينسبهم إليه ، وإنهم جميعاً من ملكهم وأمرائهم ومشائخهم - الذين أكثرهم من آل الشيخ محمد - وتجارهم وعامتهم يطلقون على أنفسهم ، من حيث الوطن والقطر :

« نجديين » ، ومن حيث المذهب والعقيدة : « حنابلة » .
وإنهم لحنابلة متعصبون لمذهب الإمام أحمد في فروعه ككل أتباع المذاهب
الأخرى ، فهم لا يدعون - لا بالقول ولا بالكتابة - أن الشيخ ابن عبد الوهاب
أتى بمذهب جديد ولا اخترع علماً غير ما كان عند السلف الصالح ، وإنما كان علمه
وجهاده لإحياء العمل بالدين الصحيح وإرجاع الناس إلى ما قرره القرآن في توحيد
الإلهية والعبادة لله وحده ، ذلاً وخضوعاً ودعاءً ونذراً ، وحلقاً وتوكلاً ، وطاعة
لشرائعه ، وفي توحيد الأسماء والصفات ، فيؤمن بآياتها كما وردت ، لا يحرف ولا
يؤول ، ولا يشبه ولا يمثل ، على ما ورد في لفظ القرآن العربي المبين ، وما جاء
عن الرسول وما كان عليه الصحابة وتابعوهم والائمة المهتدون من السلف والخلف ،
وأن تحقيق شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لا يتم على وجهه الصحيح ،
إلا بهذا !

أين نشأت التسمية ؟

ويمضي الفقي بعد ذلك في التساؤل عن البلاد التي نشأ فيها لقب « الوهابية »
وشاع ، لأنه لم يخرج بزعمه من الاوساط النجدية ، فيقول إنه نشأ في الاقطار
والاوساط التي كانت تبذل أقصى جهدها لحرب هذه الدعوة حين كان عبد العزيز
وسعود يسطران نفوذهما على جزيرة العرب !

ويقول المؤرخ الإفرنسي « مانجان » إن إطلاق اسم « الوهابيين » على أنصار
محمد بن عبد الوهاب ، قد بدأ في السنوات الاولى من إمارة عبد العزيز .
ولكننا ما نزال في شك من صحة هذه الاقوال ، فالكتاب الذي ألفه أخو
الشيخ : « سليمان بن عبد الوهاب » ، قبل عام ١١٦٨ هـ . كان عنوانه :
« الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية » وهذا الكتاب ظهر في ولاية محمد بن
سعود ، فإن كان عنوانه صحيحاً ، وأغلب الظن أنه صحيح ، فمعنى ذلك أن
كلمة « وهابية » ظهرت في وسط نجد ، وإن يكن وسط خصوم الدعوة .

الفصل الثاني

عقيدة محمد بن عبد الوهاب

« سأل أهل القصيم الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن عقيدته ، فأجابهم بهذا الكتاب » :

بسم الله الرحمن الرحيم

عقيدة أهل السنة والجماعة :

أشهد الله ومن حضري من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية ، أهل السنة والجماعة ، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره .

صفات الله :

ومن الإيمان بالله ، الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ، على لسان رسوله (ص) . من غير تحريف ولا تعطيل ، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا أحرّف الكلم عن

مواضعه ، ولا ألد في أسمائه وآياته ، ولا أكيف ، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه ، لأنه تعالى لا سمي له ولا كفوء له ، ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه ، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً فتزّه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكيف والتمثيل ، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل ، فقال : « سبحانه ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين » .

أهل السنة وسط :

والفرقة الناجية وسط ، في باب أفعاله تعالى بين « القدرية » و « الجبرية » ، وهم وسط في باب وعيد الله بين « المرجئة » و « الوعيدية » ، وهم وسط في باب الايمان والدين بين « الحرورية » و « المعتزلة » ، وبين « المرجئة » و « الجهمية » ، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله بين « الروافض » و « الخوارج » .

القرآن :

وأعتقد أن القرآن كلام الله ، منزل ، غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، وإنه تكلم به حقيقة ، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده : نبينا محمد (ص) .

القدر :

وأؤمن بأن الله تعالى فعال لما يريد ، ولا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس شيء في العالم يخرج عن قدرته ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور .

البعث والحساب :

وأعتقد بالإيمان بكل ما أخبر به النبي (ص) . بما يكون بعد الموت ، فأؤمن

بفتنة القبر ونعيمه ، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد ، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة عزلاً ، تدنو منهم الشمس ، وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد . « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون » . وتشر الدواوين ، فأخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله .

حوض النبي وشفاعته :

وأؤمن بحوض نبينا محمد (ص) . بعرة القيامة ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل آيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً . وأؤمن بشفاعة النبي (ص) . وأنه أول شافع وأول مشفع ، ولا ينكر شفاعة النبي (ص) . إلا أهل البدع والضلال ، ولكنها لا تكون إلا من بعد الاذن والرضى ، كما قال تعالى : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » وقال تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه » وقال تعالى : « ولم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » وهو لا يرضى إلا التوحيد ، ولا يأذن إلا لأهله ، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب ، كما قال تعالى : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » .

الصراط والجنة والنار ورؤية الله :

وأؤمن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم ، يمرّ به الناس على قدر أعمالهم . وأؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنها اليوم موجودتان ، وأنها لا يفنيان . وأؤمن أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة ، كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته .

النبي (ص) . والصحابة :

وأؤمن بأن نبينا محمداً (ص) . خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح إيمان عبد حتى

يؤمن برسالاته ، ويشهد بنبوته .
وأن أفضل أمته ، أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ،
ثم علي المرتضى ، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ،
ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم .
وأتولى أصحاب رسول الله وأذكر محاسنهم وأترضى عنهم وأستغفر لهم وأكف
عن مساوئهم وأسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم ، عملاً بقوله تعالى :
« والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا أغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا
بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم » .

كرامة الأولياء :

وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء . وأقر بكرامات
الأولياء وما لهم من المكاشفات ، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً ،
ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله .

لا أكفر مسلماً بذنب :

ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار ، إلا من شهد له رسول الله (ص) .
ولكنني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء ، ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب ،
ولا أخرجه من دائرة الاسلام .

استمرار الجهاد :

وأرى الجهاد ماضياً مع كل امام ، برأ كان أو فاجراً ، وصلاة الجمعة خلفهم
جائزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً (ص) . إلى أن يقاتل آخر هذه الامة
الدجال ، لا يطله جور جائر ولا عدل عادل .

طاعة الأئمة :

وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، برهم وفاجرهم ، ما لم يأمروا بمعصية الله ، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة ، وجبت طاعته وحرم الخروج عليه .

أهل البدع :

وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا ، وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلى الله ، وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة .
أنواع الايمان وشعبه :

وأعتقد أن الايمان قول باللسان ، وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها : إمطة الأذى عن الطريق .

الأمر بالمعروف :

وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الظاهرة .
فهذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشغل البال لتطلعوا على ما عندي ، والله على ما نقول وكيل . . .

تذييل

تلك عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كما لحصا في رسالته الى أهل القصيم ، وقد نستطيع أن نضيف اليها شيئاً من كلام الشيخ ، يزيد بعض فقراتها وضوحاً :

صفات الله

يقرّ الشيخ آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ويكل « علمها الى الله ، مع اعتقاد حقائقها ، فان (مالكا) ، وهو من أجل علماء السلف ، لما سئل عن « الاستواء » ، في قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » ، قال : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

أما الصفات التي اخترعها الفلاسفة والمتكلمون ، كالجوهر والعرض والجسم والجهة ، ونحو ذلك ، فيرى الشيخ عدم التعرض لها ، لا بنفي ولا بإثبات ،^(١) .

اطلع الشيخ على رسالة « المويس » التي خطأ فيها أهل الرشم ، لانكارهم على من يصف الله بأنه ليس جوهرأ ولا عرضأ ولا جسماً ، فقال رحمه الله :

إن عقيدة أهل السنة هي السكوت ، من أثبت بدعوه ، ومن نفي بدعوه .

فالذين يقولون ليس بحجم ولا جوهر ولا عرض : هم الجهمية والمعتزلة .

والذين يشنون ذلك هم : « هشام » وأصحابه .

والسلف بريئون من الجميع ! ..

وقال الشيخ أيضاً :

« مذهب الإمام أحمد وغيره من السلف ، أنهم لا يتكلمون في هذا النوع إلا بما تكلم به الله ورسوله ، فما أثبت الله لنفسه أو أثبت رسوله ، أثبتوه ، مثل الفوقية والاستواء والكلام والجهمية وغير ذلك ، وما نقاه الله عن نفسه ونقاه عنه رسوله ، نفوه ، مثل : الند ، والمثل ، والسمة ، وغير ذلك .

وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله إثباته ونفيه ، مثل : الجوهر والعرض والجسم والجهة وغير ذلك ، فلا يشبثونه ولا ينفونه .

.. ومن كلام ابن عقيل : « أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا ، ما عرفا الجوهر

والعرض .. »

ورد الشيخ على قول المويس إن لله صفات سبعة فقط - هي : السمع والبصر

١ - أنظر رسائل الشيخ عبد الله بن محمد عبد الروهاب .

والحياة والقدرة والإرادة والعلم والكلام—وان المسلمين يثبتون لله هذه الصفات من غير « كيف » ولا « أين » ، فقال :

« هذا مذهب طائفة من المبتدعة ، يثبتون الصفات السبع ، وينفون ما عداها ، ولو كان في كتاب الله ، ويؤولونه ، وأما أهل السنة فكل ما جاء عن الله ورسوله أثبتوه ، وذلك صفات كثيرة ..

أما أنكار الأين ، فهو من عقائد أهل الباطل ، وأهل السنة يثبتونه ، اتباعاً لرسول الله (ص) ، فقد جاء في الصحيح أنه قال للجارية : أين الله ؟ ، فأجابت : في السماء^(١) !

القرآن :

كان الشيخ يبرأ من الجهمية ، القائلين بخلق القرآن ، ومن الكلابية ، القائلين بأن كلام الله هو « المعنى القائم بنفس الباري » ، وان ما نزل به جبريل : « حكاية » أو « عبارة » عن المعنى نفسه .

وكان الشيخ ، كأهل السنة كلهم ، يرفض تأويل كلام الله ، الذي ورد على ألسنة بعض الفلاسفة والمتكلمين ، قال الشيخ :

« ان أئمة المتكلمين ، لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم في آيات الأمر والنهي ، مثل قولهم :

المراد بالصيام : كتمان أسرارنا

والمراد بالحج : زيارة مشايخنا

والمراد بجبريل : العقل الفعال

وغير ذلك من إفكهم ...

لما رد المتكلمون بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الاسلام ،

١ - القول بالجهة ، لا يعني التجسيم .

فقال لهم الفلاسفة : أنتم جعدهتم علو الله في خلقه واستواءه على عرشه ، مع أنه
مذكور في الكتب على السنة الرسل ، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم ، وغيرهم من
أهل الملل ، فكيف يكون تأويلنا تحريفاً وتأويلكم صحيحاً ؟
فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب على هذا الايراد .
والمراد : أن مذهبهم ، مع كونه فاسداً في نفسه ومخالفاً للعقول ، هو أيضاً :
مخالف لدين الإسلام .

أسباب الاختلاف بين الشيخ وبين العلماء في زمانه

أوردنا قبل هذا الفصل نص الرسالة التي لحص فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته ، وكل من قرأ هذه الرسالة وتأملها رأى أنها عقيدة أهل السنة والجماعة الصافية ، لا ينكرون منها جملة واحدة .

وفي ظل الإسلام الحق ، في « إطار » عقيدة أهل السنة والجماعة ، قام الشيخ بدعوته إلى « التوحيد » وهو أعظم شيء دعا إليه الإسلام ، وبالنهي عن « الشرك » ، وهو أعظم شيء نهى عنه الإسلام ، فما الذي أثار على الشيخ ، في زمانه وبعد زمانه ، جماعة من أهل السنة أنفسهم ، سواء من الحنابلة إخوان الشيخ في المذهب وفي البلد ، داخل نجد ، أم من رجال المذاهب الأخرى ، خارج نجد ؟
قد يقال ، في الجواب على ذلك :

إن العامة ، من أهل نجد ، خالفوه ، لجهلهم بحقائق الدين وفسادهم ، إذ صور لهم اعتيادهم لما يمارسونه من الأمور الباطلة أنها هي الإسلام ، فتنكروا لمن يدعوم إلى الخروج منها ، وكذلك تفعل العامة عند ظهور كل مصلح ، ثم ينقادون إليه ، طوعاً أو كرهاً ، ويتشددون في الدفاع عن أفكاره مثل تشددهم في رفضها أول مرة وأكثر ! ...

وأما العلماء ، فبعضهم وإن تلبس بلباس العلماء لا يقلّ جهلاً عن العامة ،

وبعضهم ما دعاهم إلى مقاومته إلا الحسد والبغى والحرص على المنافع المادية التي كانت تأتيهم من أمان الحجب والنذور ، وأجور المشاهد والقبور ، ونحو ذلك ، فخافوا ان اتبع الناس الشيخ ، في ما يقرره لهم من مخالفة هذه الأمور للدين ، أن تنقطع عنهم مواردها المالية ، وتتضاءل قيمتهم هم أنفسهم في عيون الناس فكانوا يشجعون الضلال ، وبقيت طائفة متمسكة بالحق ولكنها ما كانت تنكر إلا بقلبها ، وتلتصق العافية في السكوت .

ذلك جواب صحيح في جملته ، ولكنه لا يحيط بالمسألة من كل جوانبها ، وإنما يكتفي بتلخيص «البواعث» النفسية التي أدت إلى مقاومة الشيخ في دعوته الجريئة، والمتشددة أحياناً .

والجواب الأمثل ، والأكمل ، يجتم علينا تلخيص صفحات دعوات الشيخ كلها، لتبين نقط «الإحتكاك» ، ومواضع الإختلاف بين الشيخ وبين الآخرين ، سواء في الأمور الكبيرة أم في الأمور الصغيرة . وهذا ما سنفعله في الصفحات الآتية ...

التوحيد^٧

« .. أم مسألة شغلت ذهنه في درسه ورحلاته :
مسألة التوحيد ، التي هي عماد الاسلام ، والتي تبلورت في :
« لا اله الا الله » ، والتي دعا اليها محمد (ص) . أصدق
دعوة وأحرها ، فلا اصنام ولا اوثان ، ولا عبادة آباء ولا
اجداد ، ولا احبار ولا انداد ، ولا نحو ذلك .. »
- احمد امين -

الدعوة الى التوحيد والنهي عن الشرك

أعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، منذ كان طالباً للعلم ثم مدرساً ، في البصرة ،
انكاره لما كان عليه أكثر الناس من الشرك والبدع والفساد ، ودعا الى التمسك
بالتوحيد ، والافتداء بما كان عليه السلف الصالح .

وضع « كتاب التوحيد »

ولكن دعوة الشيخ لم «تنشط» وتقوى ، الا بعد وفاة أبيه عام (١١٥٣ هـ) ،
وكان ظهور « كتاب التوحيد » ، شبه إعلان أو « افتتاح » رسمي للدعوة .
وضع الشيخ كتاب التوحيد ، أثناء مقامه في حريلاء ، بعد عودته من رحلته

الطويلة ، وما ندري إن كان فرغ من تأليفه قبل وفاة والده أو بعد ذلك ، ولكن الكتاب ، على كل حال ، لم يشتهر وينتشر الا بعد موت الشيخ عبد الوهاب ، لما نعرفه من مداراة الشيخ لأبيه ، وكان يومئذ في آخر عمره .

اسلوب كتاب التوحيد

كتاب التوحيد ، كتاب غير كبير ، جمع فيه الشيخ آيات وأحاديث في بيان التوحيد والترغيب فيه ، وبيان الشرك والتحذير منه ، ونبه على المسائل التي تتفرع عن الآيات والأحاديث التي أوردها ، وذلك باختصار كثير ، فكان كتابه أشبه بما نسميه اليوم : « رؤوس أقلام » ، منه بالشرح المستفيض ؛ وقد يخطر ببال بعض الناس ، وهم يطالعون هذا الكتاب ، لأول مرة ، أن صاحبه لم يفعل أكثر من الجمع والتبويب ، والتنبيه على بعض المسائل ، وأنه لا يستحق بمثل هذا الكتاب ألقاب عالم فقيه ومؤلف ، وأن يقول « ابن بشر » عن كتابه : « ما وضع المصنفون في فنه أحسن منه ، فانه أحسن فيه وأجاد ، وبلغ الغاية والمراد . . » .

ومثل هذا الكلام قيل من قبل في الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث ، لأنهم كانوا يكثررون في كتبهم وأجوبتهم من الآيات والأحاديث ، فيخيل الى قارئهم أنهم لا يجيبونه من عند أنفسهم ولكنهم يحيلونه الى القرآن والحديث ، ولذلك وصفهم بعض الناس بأنهم : « محدثون » أو رواة ، وليسوا فقهاء ، كأن الفقه في زعمهم هو الرأي .

والحقيقة هي أن ايراد الآيات والأحاديث ، على أسلوب مخصوص ، والتنبيه ولو باختصار على بعض معانيها وأغراضها ، واستخلاص فكرة معينة منها ، والتوجيه إليها : كل أولئك يمثل جهداً علمياً لا يقل عن جهد المؤلفين الذين يعرضون آراءهم الشخصية .

بل نقول أكثر من ذلك ، فالعلم - أعني علم الدين - هو ، عند أهل الحديث ، ما كانت مادته الأساسية : الآيات والأحاديث وأقوال الأئمة المعتبرة ، وليست كتب الرأي عندهم شيئاً .

محتويات كتاب التوحيد

يبدأ الشيخ كتاب التوحيد ، بعد البسملة والحمدلة ، بقوله تعالى :

(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)

ثم يتبعها بجملة من الآيات والأحاديث في الدعوة إلى عبادة الله ، واجتناب الطاغوت ، وفي معنى التوحيد وشهادة ان لا إله إلا الله ، وانها مكفرة للذنوب اذا قيلت باخلاص وبراءة من الشرك .

ثم يذكر طائفة من المسائل - أو ما نسميه في مصطلح اليوم : الملاحظات الهامة .

ثم ينتقل الى الكلام على أنواع كثيرة من الشرك والبدع والمفاسد ، كان أكثرها متفشياً في زمانه ، كلبس الحيط والحلقة لرفع البلاء ، والرقى والتائم ، والتبرك بالشجر والحجر ونحوهما ، والذبح لغير الله ، والاستعانة بغير الله ، والاستعاذة بغير الله ، والاستغاثة بغير الله ، ودعوة غير الله ، والغلو في الصالحين ، وفي قبورهم ، والعبادة عند القبور .

ويتحدث الكتاب كذلك عن السحر والكهانة والتنجيم والحلف بغير الله وسب الربيع ، وأمور مختلفة لا تبلغ بفاعلها الى الشرك ، ولكنها أشياء منكورة .

نظرية التوحيد

في اعتقادنا ان فكرة التوحيد لا تبرز لنا في شكلها النظري « المركب » - ان صح هذا التعبير - في كتاب التوحيد ، ولكنها انما تظهر ، في بيان قوي ، وتعريف « علمية » ، ولا نقول « مفلسفة » ، في جملة من رسائل الشيخ ، سار فيها على غرار ابن تيمية ، وربما تجاوزه أحياناً في قوة « التركيز » .

تعريف التوحيد وتقسيمه

يعرف الشيخ ، في بعض رسائله ، التوحيد بأنه :

« إفراد الله بالعبادة »

ويقسم التوحيد الى ثلاثة أقسام :

الأول – توحيد الأسماء والصفات

وهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن والأحاديث الصحيحة من صفات الله ،
ووصفه بها على الحقيقة .
وهذا القسم لا اختلاف فيه بين جمهور المسلمين .

الثاني – توحيد الربوبية

وهو توحيد الله بأفعاله ، مثل الخلق والرزق والامانة والاحياء وانزال الغيث ،
ونحو ذلك ..
وهذا القسم لا اختلاف فيه ، لا بين المسلمين وحدهم ، ولكن بين المسلمين
وغيرهم من الملل الأخرى أيضاً ، وحتى دعاة الوثنية : فهم مقرون جميعاً لله بالتفرد
بالخلق والامانة والتدبير الخ ..
قال الشيخ : وهذا حق لا بد منه ، لكن لا يدخل الرجل في الاسلام .

الثالث – توحيد الألوهية

وهو توحيد الله بأفعال العباد ، التي تعهدوا بها وشرعها لهم .
قال الشيخ : « ان الذي يدخل الرجل في الاسلام هو توحيد الألوهية ، وهو
أن لا يعبد إلا الله » .
وبكلمة أخرى : التوحيد المقصود ، بأكمل معانيه ، هو : افراد الله بالعبادة .

تعريف العبادة وأنواعها

يعرف لنا الشيخ العبادة ويذكر لنا كثيراً من أنواعها ، في بعض رسائله ،
فيقول :

« .. العبادۃ : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال ،
الظاهرة والباطنة .

فان قيل : فما الجامع لعبادة الله وحده ؟

قلت : طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

فان قيل : فما أنواع العبادۃ التي لا تصلح إلا لله ؟

قلت : من أنواعها : الدعاء ، الاستعانة ، الاستغاثة ، ذبح القرбан ، النذر ،
الخوف ، الرجاء ، التوكل ، الإنابة ، المحبة ، الخشية ، الرغبة ، الرهبة ، التأله ،
الركوع ، السجود ، الخشوع ، التذلل ، التعظيم الذي هو من خصائص الإلهية ، .
وبضيف الشيخ إلى ذلك أن من صرف شيئاً من أنواع هذه العبادۃ لغير الله ،
فقد وقع في الشرك .

قنبلة الديناميت

تلك طائفة من أقوال الشيخ في التوحيد ، والعبادة ، والشرك ، قد تبدو لغير
الواقفين على أحوال نجد والبلاد الإسلامية في زمن الشيخ ، أقوالاً هادئة ، لا تثير
« أعصاب » مسلم ...

ولكنها كانت في زمانها وبعد فترة من زمان الشيخ ، كأنها لغم هائل من
متفجر «الديناميت» ، أو قنبلة ذرية ، وضعها الشيخ في أسس المعتقدات والعادات
المنتشرة في تلك الأيام ، لتهدمها وتجعلها أثراً بعد عين ..

ذلك أن كثيراً من أهل نجد كان دينهم : هذا الذي يقول الشيخ إنه الكفر
بكل دين ، وكانت عبادتهم : هذه التي يقول الشيخ إنها عبادة الأوثان لا عبادة
الله ، ونحو هذا ..

ولو أن الشيخ اكتفى بوضع كتابه في التوحيد ، والاعتزال في داره ، لما
كان للكتاب إلا أثر محدود ، ولكنه وقف وراءه ، يكافح عن عقيدته ، ويقررها
للناس ، ويجمع حوله الأنصار ، ويكتب الرسائل في الرد على خصومه ومناظريه ،
ثم انتقل من النظر الى العمل ، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وقام بإزالة

منكرات كثيرة ، ومنها قلعه أشجاراً كانوا يندرون لها ونحطيمه المباني على قبور كانوا يتعبدونها، وأمره برجم امرأة زانية، بعد اعترافها أربع مرات بفعلتها، إلى غير ذلك مما لنا بصده الآن، وإلما سقنا هذه الامثلة للتدليل على أن كتاب الشيخ كان فاتحة المعركة لا خاتمتها ..

الجاهلية والوثنية

كان الشيخ ، ومن تابعه ، يرون أن الناس بسبب تفشي الشرك في المعتقدات والأخلاق قد عادوا الى مثل الجاهلية التي سبقت الاسلام ، فكانوا يحتاجون الى من يجدد لهم دينهم ، وكان الشيخ هو الذي يقوم بهذه الرسالة العظيمة .
بارك فريق من العلماء الشيخ قيامه قياماً عظيماً في تعليم الناس حقيقة الدين ومكافحة الشرك والمنكرات والزام الناس بالصلوات وغيرها من أوامر الدين ، ولكنهم كانوا يرون أنه تشدد في بعض المسائل ، مع جواز التسامح فيها .

انتقادات ابن سحيم

كان أكثر المشايخ ، عند ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ضده ، ولكن أحد رؤوس المقاومة كان : سليمان بن محمد بن سحيم ، مطوع الرياض ، فقد نشر رسالة كان لها دوي في نجد وخارج نجد ، ذكر فيها أموراً كثيرة نسبها الى الشيخ وأنكرها إنكاراً شديداً ، وها نحن نورد هنا أكثر ما جاء في هذه الرسالة ، كما أثبتها « ابن غنام » :

(أما بعد .. خرج في قطرنا رجل مبتدع جاهل ، مضل ضال من بضاعة العلم والتقوى عاطل ، جرت منه أمور فظيعة ، وأحوال شنيعة .. فمن بدعه وضلالاته :

١ - أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله ، الكائنين في الجبيلة - أي زيد بن الخطاب وأصحابه - وهدم قبورهم ، وبعثرها ، لأجل أنهم في حجارة ولا يقدرّون أن يجفروا لهم فطووا على أضرحتهم قدر فراع ليمنعوا الرائحة والسباع ، والدافن لهم خالد وأصحاب رسول الله (ص) .

٢ - وعمد أيضاً إلى مسجد .. وهدمه ، وليس داعٍ شرعي إلى ذلك ، إلا اتباع الهوى ..

٣ - وأمر بحرق «دلائل الخيرات» لأجل قول صاحبها «عن محمد (ص) ..» : سيدنا ومولانا !

٤ - وأحرق أيضاً «روض الرياحين» وقال : هذا روض الشياطين !

٥ - وصح عنه أنه يقول : لو أقدر على حجرة الرسول لهدمتها ، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه وجعلت بدله ميزاباً من خشب .

- أما سمع قوله تعالى : « ومن يعظم شعائر الله فإنما من تقوى القلوب » ؟

٦ - .. وأنه يقول : الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء ! .. وتصديق ذلك أنه بعث إلي كتاباً يقول فيه : أقرؤا أنكم قبلي جهال ضلال !

٧ - ومن أعظمها : أنه من لم يوافقه في كل ما قال ، ويشهد أن ذلك حق ، يقطع بكفره .

ومن وافقه وصدقه في كل ما قال ، قال له : أنت موحد ، ولو كان فاسقاً محضاً ، أو مكاساً ، وبهذا أظهر أنه يدمو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله .

٨ - ومنها أنه بعث إلى بلدائنا كتاباً مع بعض دعااته ، بخط يده ، وحلف فيه بالله أن علمه هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب إلى أخذ العلم منهم في زعمه ، والا فليس له مشايخ ولا عرفه أبوه ، ولا عرفه أهل قطره ! ..

فيا عجبا ، إذا لم يتعلمه من المشايخ ولا عرفه أبوه ولا أهل قطره ، فمن أين علمه ، ومن أخذه ، هل أوحى إليه ، أو رآه مناماً ، أو أعلمه به الشيطان ؟

٩ - ومنها أنه يقطع بتكفير ابن الفارض ، وابن عربي .

١٠ - ومنها أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول ، لأجل أنهم يأخذون النذور ، ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده .

١١ - ومنها أنه لما قيل له : اختلاف الأئمة رحمة ، قال : اختلافهم نقمة .

١٢ - ومنها أنه يقطع بفساد الوقف ، ويكذب المروي عن رسول الله (صلعم) وأصحابه أنهم وقفوا .

١٣ - ومنها أبطال الجعالة على الحج .

١٤ - ومنها أنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة ، وقال : السلطان فاسق لا يجوز تمجيده .

١٥ - ومنها أنه قال : الصلاة على رسول الله (ص) . يوم الجمعة وليلتها : بدعة وضلالة نهوي بصاحبها إلى النار .

- ١٦ - ومنها أنه يقول : الذي يأخذه القضاة قديماً وحديثاً ، إذا قضاوا بالحق بين الخصمين ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة ، إن ذلك رشوة .
- هذا القول بخلاف المنصوص عن جميع الأمة أن الرشوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل ، وأن للقاضي أن يقول للخصمين لا أقضي بينكما إلا يجعل .
١٧ - ومنها أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمي عليها ويجعلها لله تعالى ، ويدخل مع ذلك دفع شر الجن .
ويقول : ذلك كفر ، واللحم حرام .
فالذي ذكره العلماء في ذلك أنه منهي عنه فقط .



فبينوا ، رحمكم الله ، ذلك للعوام المساكين ، الذين لبس عليهم ، وأبطل عليهم الاعتقاد الصحيح ، فقد افتتن بسببه ناس كثير من أهل قطرنا

رد الشيخ على هذه الرسالة

- رد الشيخ على كثير مما جاء في هذه الرسالة ، بكتاب أرسله إلى عبد الله بن محمّد تناول فيه (٢٤) قضية نسبها إليه خصومه ، وبما قاله :
- « فالمسائل التي شنع بها ، منها ما هو من البهتان الظاهر ، وهي :
- ١ - أني مبطل كتب المذاهب .
 - ٢ - و .. أني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء .
 - ٣ - وأنني أدعي الاجتهاد .
 - ٤ - وأنني خارج عن التقليد .
 - ٥ - وأنني أقول إن اختلاف العلماء نقمة .
 - ٦ - وأنني أكفر من نوسل بالصالحين .

- ٧ - وأني أكفر البوصيري لقوله : يا أكرم الخلق .
٨ - وأني أقول : لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها .
٩ - ولو قدرت على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب !
١٠ - وأني أنكر زيارة قبر النبي (ص) .
١١ - وأني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم .
١٢ - وأني أكفر من يحلف بغير الله .
فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول : « سبحانك هذا بهتان عظيم » !

رد ابن غنام

وتولى « ابن غنام » بعد ذلك أمر الرد على مزاعم ابن سحيم التي لم يعرض لها الشيخ محمد في رسالته ، وهذه مقتبسات من رده ، في شيء قليل من التصرف :
١ - زعم ابن سحيم في أول الرسالة أنه (أي الشيخ) عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله (ص) الكائنين في الجيلة ، زيد بن الخطاب وأصحابه ، وهدم قبورهم وبعثرها الخ ..

فالذي جرى من الشيخ وأتباعه أنه هدم « البناء » الذي على القبور والمسجد المجهول في المقبرة على القبر الذي يزعمون إنه قبر زيد بن الخطاب - وذلك كذب ظاهر فإن زيد ومن معه من الشهداء لا يعرف أين موضعه ، بل المعروف أن الشهداء .. قتلوا .. في هذا الوادي ولا يعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم .. وإنما كذب بعض الشياطين وقال للناس : هذا قبر زيد !

وقد افتتن به الناس وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد .. ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء .. اتباعاً لما أمر الله به ورسوله من تسوية القبور ...

وقوله : « لأجل أنهم في حجارة ولا يقدرُونَ ان يحفروا لهم ، الخ .. فكل هذا كذب وزور وتشنيع على الشيخ .. وكلامه هذا تكذيبه المشاهدة ، فان الموضع الذي فيه تلك القبور موضع سهل لين للحفر ..

٢ - وأما قوله إن الشيخ يقطع بفساد الوقف .. فقد كذب وافترى ، فالشيخ ما أبطل إلا ما كان مخالفاً لما ثبت من الأحاديث .. وذلك أن كثيراً من الجهال والعامّة إذا أراد أن يغير فرائض الله ويحرم بعض أولاده من الأثاث ما قسم الله له أو يحرم أولاده الإناث ويخصه بالذكور وأولادهم ، وقف ماله وأشهد عليه ... « وأورد ابن غنّام نص رسالة للشيخ أجاب فيها عن الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجنف والاثم » .

٣ - وأما قوله إن الشيخ أحرق « دلائل الخيرات » لأجل قوله : اللهم صل على سيدنا ومولانا . فهذا من الكذب والزور . وقد أجاب الشيخ عن هذا في بعض رسائله بقوله :

« وأما دلائل الخيرات ، فلذلك سبب ، وذلك أني أشرت على من قبل نصيحتي من إخواني أن لا يصير في قلبه أجلّ من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن . وأما حرقه والنهي عن الصلاة على النبي (ص) . بأي لفظ كان ، فهذا من البهتان » ا

٤ - وأما قوله : وأحرق أيضاً روض الرياحين ، سماء روض الشياطين ، فهذا من الكذب والزور المبين .

٥ - وأما انكار الشيخ فيه ما خالف الكتاب والسنة ، وأنكره غيره من علماء المسلمين ، من ترهات الصوفية وشطحاتهم التي تخالف السنة المحمدية .. وتنفر عنها الأسماع .. فأين الغارة لله تعالى .. والنصرة لسنة نبيه ، والحجة عند سماع .. بعض الحكايات « الواردة فيه » مثل .. بيع الجنة وغرفها .. وكون (الولي) يجر على مركب في الهواء من الذهب .. ومثل قول بعضهم : إن البر في يمينه ، والبحر في شماله ..

ومثل دعوى بعضهم الخروج إلى السماء بالأرواح كل حين ، وعلمهم بما سيقع من

الغيب !

وأمثال هذه الحكايات .. والحرفات .. مما .. هو هتك للشريعة ، وسلوك

للغبي !

٦ - وأما قوله : من وافقه وصدقه ، قال له : أنت موحد ، ولو كان فاسقاً ، ومن لم يوافقه في كل ما قال ، يقطع بفكره ..

فالحق أن من عرف التوحيد وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه والتزم مضمون هاتين الشهادتين فهو عند الشيخ مؤمن موحد ، ولو كان فاسقاً ، وكذلك هو عند سائر العلماء من أهل السنة والجماعة ، لأن الكبار لا تخرج المسلم الموحد من الإسلام وإنما يخرجوه الشرك بالله .

٧ - وأما إبطاله الجعالة على الحج ، فهذه مسألة فيها اختلاف بين العلماء ، والذي يبطله الشيخ من ذلك ما أبطله غيره من علماء المسلمين ، وهو أنه لا يحج إلا لأن يعطى أجرة أو جعلاً على ذلك ، فهذا عمله باطل لأنه قصد بعمله الدنيا . قال الشيخ تقي الدين : « المستحب أن يأخذ الحاج من غيره ليحج ، لا أن يحج ليأخذ . » .

ومن جوز الإجارة ، قال : تجوز الإجارة عليها ، لما فيها نفع من المستاجر . ٨ - وأما قوله إنه ترك بمجيد السلطان في الخطبة ، فهو صادق في ذلك ، وإنما تركه الشيخ رحمه الله لأنه من البدع المحدثه . وقد كره جمع من المالكية وغيرهم ذلك وقالوا إنه من البدع المنكرة ولم يستحب ذلك أحد من أئمة الدين .

٩ - وأما قوله : وأبطل الصلاة على رسول الله (ص) . في يوم الجمعة وليلتها... فإن الشيخ لم ينه عن ذلك ، ولم يبطل إلا .. ما أبطله جماعة قبله من الأعيان.. لأنه بدعة محضة .. فقد ذكر « السيوطي » .. أن أول ما حدث التذكير يوم الجمعة ليتبأ الناس لصلاتها ، بعد السبعائة ، في زمن الناصر بن قلاوون .. وهذه زيادة لم تعرف في زمن الرسول .. ولا ضرورة لها ..

والذي أنكره الشيخ في الحقيقة هو ما يعمل في كثير من الأقطار ولا سيما الحرمين وذلك أن يصعد ثلاثة أو أكثر على رؤوس المنابر ، ويقرأون آيات من

القرآن ، ويصلون على النبي ، بأرفع صوت وإعلان ، ويأتون بقبائح الألحان ، وأصوات تحاكي غناء القيان ، ويمطون آيات الله الكريمة ويغيرون حرمة أسمائه العظيمة ، وينقلونها من معناها الى معنى !..

١٠ - وأما قوله : إن الرثوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل ، وإن للقاضي أن يقول لا أحكم إلا بجعل ، فقد رد عليه الشيخ واجاد ..

١١ - وأما قوله .. إنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة الخ ..

.. ففي هذا لا يخالف أحد من أئمة الإسلام ..

ومن العجب أن ذلك يفعل في بلدان العارض وغيرها لا ينكره أحد من علمائهم على من فعله ، بل منهم من يقفي الجهال بذلك ويقول : اذبحوا على هذا المريض ... ذبيحة للجن ولا تسموا عليها !

فلما أظهر الله هذا الشيخ ونهى عن ذلك وبلغ الناس كلام الله ، وكلام رسوله ، وكلام أهل العلم أن ذلك كفر ؛ ينكر عليه ذلك من يزعم أنه من العلماء !
وأما من ذبح مخلصاً لله في ذلك النية ، وقصده بذلك أن يبرىء الله مريضه ، فهذا عمل خالص لله لا ينكره مسلم .

أهم المسائل المختلفة عليها

البناء على القبور - دعاء الصالحين - التكفير

هناك امور صغيرة انتقدوها على الشيخ وجماعته ، لا تستحق ان نتوقف عندها . وامسا المسائل المهمة التي تستحق النظر والتأمل فهي : دعاء الصالحين والتوسل بهم ، والبناء على القبور ، والتكفير ، وهي المسائل الثلاث التي جرت عليها المناظرة غير مرة بين علماء نجد وعلماء مكة .

- ١ -

تقديس الأولياء والقبور

من أكثر مظاهر الوثنية انتشاراً في العالم تقديس العامة لجهة لقبور الأولياء المحليين ، وانجاءهم اليهم بالعبادة أو بما يقرب من العبادة . وقد تكلم المستشرق « غولد تسيهر » ، في كتابه : « العقيدة والشريعة في الاسلام » ، في ذلك كلاماً بارعاً ، وبما قاله : « نشأ في الإسلام ، بتأثير عدة عوامل ، بعضها ببيكولوجي وبعضها تاريخي ، شكل من أشكال العبادة ، وهذا الشكل --- مهما عدّ مناقضاً لفكرة الألوهية في الاسلام ، ومهما اعتبر خارجاً عن جادة السنة الصحيحة - سرعان ما أصبح « حقاً

مكتسباً ، في دول الإسلام - وهو الصورة الصحيحة للإيمان الشعبي أو العامي ..
وهذا الإيمان العامي الساذج ، جعل « الأولياء المحلين ، موضع التكريم
والخوف ، والتبجيل والورع .. والتقديس .

ان الشعب يؤمن بالله ويخشاه ، ولكنه لا يفترض ان الله تعالى يعنى بمحاجات
الأفراد المختلفة والتافهة أحياناً ، مثل مرض أحدهم ، أو هزال بعض ماشيته أو
سوء موسم الزراعي ونحو هذا .. قتلك أشياء يهتم بها « الولي » المحلي ، حارس
المنطقة والساھر على سكانها .. فيأتون اليه بالقرابين وفي سبيل مرضاته تنذر النذور ..
وفي الحق ليس شيء أشد خروجاً على السنة القديمة .. من هذا التقديس
المتدع ، المفسد لجوهر الاسلام » (١) ..

وبذكر لنا ابن غنام ، في تاريخه ، نقلاً عن ابن تيمية وغيره ، شيئاً كثيراً مما
كانوا يفعلونه في كل البلاد الاسلامية عند القبور ، ومنها :
« .. ما يفعل في مكة ، عند قبة أبي طالب ، وكان شريفاً حاكماً متعدياً ،
فيأتون قبره بالسماعات والعلامات للاستغاثة عند حلول المصائب ..
وفي مصر : يأتون قبر أحمد البدوي وغيره .. فيستغيثون ويندبون ويقولون ،
فلان استغاث بقبره فأغيث ، وشكا حاله فكشف عنه ضره ، وشكا حاجته فأزيل
فقره .

وفي اليمن : قبر يسمى : « منجي الغارقين » ، يستغيثون به وينذر له في البر
والبحر ، ولهم في حضرته الأفاعيل ، يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس ،
ويرقصون ويغنون .. »

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، في إحدى رسائله ، إن بعض
الناس يعدون زيارة قبور الأولياء حجاً ، « وطائفة صنفوا كتباً ومموها : مناسك
حج المشاهد .

وآخرون يسافرون الى قبور المشائخ ، وإن لم يسموا ذلك نسكاً وحجاً ،

٩ - نقلنا هذه الفقرات بتصرف قليل عن الترجمة العربية لكتاب غولد تسيير .

فالمعنى واحد ..

ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ ، بمنزلة عرفات ، يسافرون اليها وقت الموسم ، فيعرفون بها كما يعرف المسلمون بعرفات ..
ومنهم من يحكي عن الشيخ الميت انه قال : كل خطوة الى قبري حجة . !

تقديس الأولياء خطر على الوحدة

ان تقديس الأولياء المحليين ، مخالف للدين ، وخصوصاً ما امتزج منه بنوع من العبادة ، لأنه شرك ، لا شك فيه .

ولكن مكافحة هذا التقديس ليست خدمة لفكرة التوحيد وحدها ، وإنما هي ايضاً دفاع عن وحدة المسلمين ، أي إنها عمل « سياسي » أو قومي جليل ايضاً .
وقد نبه ابن تيمية على هذه الناحية ، فقال :

« أهل الشرك متفرون ، وأهل الإخلاص متفقون .

ولهذا تجد ما أحدث من الشرك والبدع يفترق أهله ، فكان لكل قوم من مشركي العرب طاغوت يتخذونه نداً من دون الله ، فيقربون له ، ويستغيثون به وبشركون به ..

وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء ،

وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء ،

بل قد يكون لأهل هذا الطاغوت شريعة ليست للآخرين ..

وهكذا تجد من يتخذ شيئاً من نحو هذا الشرك ، كالذين يتخذون القبور وآثار الأنبياء والصالحين مساجد ، تجد كل قوم يقصدون بالدعاء والاستغاثة والتوجه الى من لا تعظمه الطائفة الأخرى ، بخلاف أهل التوحيد ، فانهم يعبدون الله وحده ، ولا يشركون به شيئاً .. والله هو معبودهم وحده ، وإياه يعبدون وعليه يتوكلون ، وإياه يخشون ويرجون ، وبه يستغيثون ، وله يدعون ويسألون .

هدم القباب والمباني على القبور

قام الشيخ ومن معه بهدم المباني التي كانت على قبور زيد بن الخطاب وبعض

الصالحين ، لأن الناس كانوا يعظمونها ويدعون أصحابها وينذرون لهم النذور
ويذبحون لهم الذبائح ، ويستغيثون بهم ويستشفعون .

وكانت غاية الشيخ من وراء ذلك سد الذرائع وإزالة سبب من أسباب
الشرك ، بمنع الناس من قصد تلك الأماكن .

وقد أشاع خصوم الشيخ يومئذ أنه نبش قبور الصحابة وأزال أضرحتهم ، لأنه
لا يكرمهم أو لا يحبهم ..

وليس الأمر كذلك ، فالشيخ يحب الصالحين ويكرمهم ، وهو لم ينبش
قبورهم ، وإنما أزال الأبنية التي أحدثوها فوق قبورهم ، خلافاً لسنة النبي (ص) ،
الذي أمر بتسوية القبور ، ومنعاً لما كان يحدث عندها من المفاسد .

ولم يقل الشيخ أن البناء على القبور من الشرك الأكبر ، كما توهم بعض الناس .
سأل أحدهم الشيخ عن البناء على القبور ، والصلاة عند القبر ، هل هما محرمان ،
فكان بما أجاب به :

« أما بناء القباب عليها ، فيجب هدمها .. وما علمت أنه يصل إلى الشرك
الأكبر . وكذلك الصلاة عنده ، وقصده لأجل الدعاء ، فكذلك لا أعلمه يصل
إلى ذلك . ولكن هذه الأمور من أسباب حدوث الشرك ، فيشتد نكير العلماء
لذلك . »

ومهما يكن الأمر فإن الوهابيين الأوائل بالغوا في هدم القباب والمباني المقامة
على القبور ، حتى قال المستشرق « بركارت » الذي كان يقيم في مكة ، بعد دخول
الوهابيين إليها ، إن بعض الوهابيين كانوا يظنون أن الفارق بينهم وبين غيرهم من
المسلمين ، هو : تهديم القباب .

ونسب إليهم أنهم كانوا يقولون : « رحم الله من هدم القباب ، ولا رحم
الله من بناها . »

وليس الشيخ أول من هدم القباب والمباني ، على القبور ، سداً للذرائع وعملاً
بحديث تسوية القبور . ولكن البلاد الإسلامية ، في كثرتها ، ما تزال تبني القباب
والمباني على القبور ، معتقدة أن العلم بحقائق الدين يمنع من تعبد القبور ولو أقيمت

عليها جبال من المباني .
وقد جاء في الرسالة التي بعثها الشيخ الى علماء مكة ، حول هدم الأبنية على
قبور الصالحين ، قوله ، بعد ذكره أنه متبع لا مبتدع :
« فان كانت المسألة إجماعاً ، فلا كلام .
وان كانت مسألة اجتهاد ، فمعلومكم انه لا إنكار في مسائل الاجتهاد ، فمن عمل
بمذهبه ، في محل ولايته ، لا ينكر عليه . »
وقد سئل سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز - الملك فيصل اليوم - وهو في
مصر ، عن رأيه في مسألة القبور ، فأجاب :
« أحب أن تنقل عني أن الوهابيين ، وهم أتباع أحمد بن حنبل ، ليس لهم
اجتهاد خاص فيما يتعلق بمسألة الأضرحة والقباب . »
وهذا جواب حكيم . فالمسألة ليست اجتهاداً من الشيخ محمد بن عبد الوهاب
وأنصاره ، ولكنها مسألة تعالج في إطار السنة .

التوسل والشفاعة

جرت المناظرة ، في مسألة التوسل والتشفع بالأولياء ، بين علماء مكة وعلماء نجد ، مرتين ، ففي المرة الأولى ، جرت المناظرة بين علماء مكة وبين الشيخ عبد العزيز الحصين ، موفد الإمام والشيخ ، في ولاية الشريف أحمد بن سعيد ، عام ١١٨٥ هـ . وكان جواب الحصين ، على الأسئلة التي وجهت إليه ، كما لحصه ابن غنام : أن « دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم في النوازل قد نص عليه الأئمة ... وقرروا أنه من الشرك .. ولا يجادل في جوازه إلا كل ملحد جاهل » . وجرت المناظرة مرة ثانية سنة ١٢١١ هـ . في ولاية الشريف غالب ، وكانت يمثل علماء نجد فيها ، الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، فأعيد طرح مسألة الشفاعة على بساط البحث بهذه الصيغة :

« ما قولك في من دعا نبياً أو ولياً ، واستغاث به في تقريج الكربات ، كقوله : يا رسول الله ، أو يا ابن عباس ، أو يا محبوب ، أو غيرهم من الأولياء والصالحين ؟ »

فكان من جواب الشيخ حمد :

قال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلالة . »

.. والذي شرعه لنا رسول الله (ص) عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة

والاحسان الى الميت بالدعاء له والترحم له والاستغفار له .. فبدلَ أهلُ الشرك .. الدعاءَ له بدعائه ، والشفاعة له بالاستشفاع به ، وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله (ص) إحساناً الى الميت سؤال الميت ، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء ، الذي هو منع العبادة .

ومن الحال أن يكون دعاء الموتى مشروعاً ، ويصرف النظر عنه القرون الثلاثة المفضلة .. ثم يوفق له الحلف ، الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فهذه سنة رسول الله (ص) ، وهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم باحسان ، هل نقل عن أحدهم نقل صحيح أو حسن أنهم كانوا ، إذا كان لهم حاجة ، قصدوا القبور فدعروا عندها ومسحوا بها ، فضلاً عن أن يسألوا أصحابها الفوائد وكشف الشدائد ، ومعلوم أن هذا مما تتوافر المهم والدواعي على نقله ؟

وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله (ص) بالأمصار عدد كثير ، متوافرون ، فما منهم من استغاث عند قبر ولا دعاء ولا استشفى به ولا انتصر به ، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي (ص) من بعد موته ، ولا بغيره من الأنبياء ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأولياء ولا الصلاة عندها .

ثم يستشهد الشيخ حمد بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث التي تنهى عن دعاء غير الله ، وينتهي إلى القول :

« فالذي نعتقد وندين به الله أن من دعا نبياً أو وليداً أو غيرهما ، وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أن هذا من أعظم الشرك ، الذي كفر الله به المشركين ، حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار ، بزعمهم ، قال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . » .

شفاعة النبي

يرافق الشيخ كثير من أهل السنة في إنكار تشفع الناس بالأولياء ، ولكن فريقاً منهم يرون جواز التشفع برسول الله (ص) لأنه (ص) يشفع دائماً ، في

حياته وبعد موته فهو حي في قبره .
ولم ينكر الشيخ شفاعة النبي (ص) ، ولكنه لا يطلبها من النبي (ص) . وإنما
يطلبها من الله سبحانه ، قال :
« وأما الشفاعة فهي كلها لله ، ولا يشفع النبي (ص) ، ولا غيره في أحد حتى
يأذن الله فيه ، فيجب أن يدعو أحدنا الله سبحانه ، قائلاً :
اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفعه في !
وأمثال ذلك .. لا أن ندعو النبي نفسه .. »

راي عالم سلفي في التوسل

يظهر أن مسألة التوسل ليست من الأمور البسيطة ، التي يتسهل الكلام عنها
لكل أحد . والأولى أن ننظر إلى قصد الناس أكثر من نظرنا الى العبارات ،
وان كانت العبارات توقع بالشرك أحياناً .
ويقول الاستاذ العالم الشيخ بهجة البيطار ، من العلماء السلفيين ، في كلمة ألقاها
في المؤتمر الإسلامي : « ومنها أيضاً مسألة التوسل .. لا شك أن من استقرأ النصوص
وأمعن النظر في مضمونها ظهر له أنها متضاربة على مشروعية التوسل اليه تعالى
بالأعمال الصالحة ، ولما كان بعض ظواهر النصوص يرمي التوسل بالذات والجاه
أيضاً ، كانت المسألة خلافية وكان فيها قولان لمثل الإمام أحمد بن حنبل ، كما نقل
عن الامام ابن تيمية في فتاويه وغيرها فاذا كان الأمر كذلك فنحن لا ننكر
التوسل بجاه النبيين والصالحين كأنكارنا على من يدعو غير الله تعالى .
على أنه قد ورد « اللهم بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي اليك » فاذا أردنا
التوسل والتمسك بالمشروع اقتصرنا على ما ورد واكتفينا به ، اذ أن الإكتفاء بما
تجمع الكلمة عليه أولى من الاجتهاد في غيره واحداث خلاف عليه

التكفير !

كان علماء مكة يأخذون على الشيخ وجماعته أنهم يكفرون كثيراً من الناس ، بل كل إنسان لا يقول بقولهم .. وقصة التكفير ، في الحقيقة قديمة ، قالها جماعة من أهل نجد أنفسهم ، وكان اعتراضهم قائماً ، أول الأمر ، على أن من نطق بالشهادتين كان مسلماً ، ولم يجوز تكفيره ، فلما قال الشيخ إن كثيراً من البدو كفروا ، أنكروا عليه ذلك ، لأن البدو يقولون : « لا إله إلا الله » .

قال الشيخ : « إنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله ، وتبرأوا من الدين كله ، واستهزأوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث .. ومع هذا تتكفرون علينا كفرهم ، وتصرحون بأن من قال : « لا إله إلا الله ، لا يكفر ! »^(١) وقال أيضاً : « فلما بينت ما صرحت به آيات التنزيل ، وعلته الرسول أمته وأجمع عليه العلماء : من أنكر البعث أو شك فيه ، أو سب الشرع ، أو سب الأذان إذا سمعه ، أو فضل فراضة الطاغوت على حكم الله ، أو سب من زعم أن المرأة توث ، أو إن الإنسان لا يؤخذ في القتل مجريرة أبيه أو ابنه : أنه كافر مرتد - قال علماؤكم : معلوم أن هذا حال البوادي ، لا ننكره ، ولكن يقولون : « لا إله إلا الله » ، وهي تهمهم من الكفر ، ولو فعلوا كل ذلك ! »^(٢) .

١ - الرسالة (١٩) من رسائل الشيخ - ابن غنام .

٢ - الرسالة السادسة من رسائل الشيخ - ابن غنام .

ومن يتأمل في أقوال الشيخ يتبين من خلالها قوة حجته ، وأي منصف لا يشارك الشيخ في أن كلمة « لا إله إلا الله » لا تبريء قائلها « الذي يجهل معناها ، ولا يعمل بمقتضاها ، ويصل به الأمر الى حد إنكار البعث .. » من الشرك ، ولا تحميه من الكفر ؟

كان خصوم الشيخ ، أو طائفة منهم ، يباركون دعوته ، ويحمدون له قيامه في نصرة الدين ، ولكنهم كانوا يريدون منه أن يتروك تكفير مخالفه .. وقد رد الشيخ على منتقديه ردوداً كثيرة ، وبما قاله :

وأما التكفير ، فأنا أكفر من عرف دين الرسول ، ثم بعد ما عرفه : سبه ، ونهى الناس عنه ، وعاداه ، فهذا هو الذي أكفر ! وأكثر الأمة والله الحمد ليسوا كذلك .

وأما القتال ، فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة ، وهم الذين أتونا في ديارنا ، ولا أبقوا بمكناً ، ولكن نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة ، وجزاء سيئة سيئة مثلها وكذلك من جاهر بسب دين الرسول ، بعد ما عرف . ويرد الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، في كتابه « مصابيح الظلام » ، على من نسب الى الشيخ تكفير الأمة ، وأنه جعل بلاد المسلمين ، غير نجد ، بلاد كفر ، فيقول :

« وأما قوله نسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها ، وقائلها على ذلك جملة ، إلا من وافقه على قوله . فهذه العبارة تدل على تهور في الكذب ووقاحة تامة ... »

وصريح هذه العبارة ان الشيخ كفر جميع هذه الأمة من المبعث النبوي الى قيام الساعة ، إلا من وافقه على قوله الذي اختص به !

وهل يتصور هذا عاقل ، عرف حال الشيخ وما جاء به ودعا اليه ، بل أهل البدع كالقدرية والجهمية والرافضة والخوارج لا يكفرون جميع من خالفهم بل لهم أقوال وتفاصيل يعرفها أهل العلم .

. وأما قوله : وجعل بلاد المسلمين كفارا أصليين !

فهذا كذب وبهت ، ما صدر ولا قيل ، ولا أعرفه عن أحد من المسلمين فضلا

عن أهل العلم والدين ، بل كلهم يجمعون على أن بلاد المسلمين لها حكم الاسلام في كل زمان ومكان ..

مسألة التكفير في المناظرة

كانت مسألة التكفير بما جرت عليه المناظرة بين علماء مكة وعلماء نجد ، وكان يمثل نجد : الشيخ « محمد بن ناصر بن عثمان المعمرى » وقد طلب منه علماء مكة كتابة أجوبته ، فكتبها ، وبما قاله :

« أما المسألة الثانية وهي : من قال لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، ولم يترك ، هل يكون مؤمناً ؟

فنقول : أما من قالها ، وهو مقيم على شركه ، يدعو الموتى ويسألمهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، فهذا مشرك ، حلال الدم والمال ..

وأما إن وحد الله تعالى ولم يشرك به شيئاً ، ولكن ترك الصلاة والزكاة تكاملاً عنها ، فهذا قد اختلف العلماء في كفره .. »

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

نظام المطوعة . الاكراه على الصلوات في المساجد .
التقشف . منع المنكرات

سأل عالم من أهل المدينة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن سبب الاختلاف بين
أهل نجد وبين سائر الناس ، فأجابه الشيخ :

« .. ان سألت عن سبب الاختلاف الذي هو بيننا وبين الناس ، فما اختلفنا
في شيء من شرائع الاسلام من صلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج ، وغير ذلك ،
ولا في شيء من المحرمات ..

الشيء الذي عند الناس زين ، هو عندنا زين .
والشيء الذي عندهم شين ، هو عندنا شين .
الا اننا نعمل بالزين ، ونغصب الدين عندنا عليه .
وننهي عن الشين ، ونؤدب الناس عليه » .

هذا هو الفرق ، الكبير بين بلاد نجد في عهد الشيخ ، وبين بقية بلاد الاسلام .
في نجد يكرهون الناس بالقوة على تنفيذ أوامر الدين واجتناب نواهيه .
وفي سائر بلاد الاسلام ، يترك الناس أحراراً في أمور الدين ..

المسلم ، في دول الاسلام ، لا يكره على الصلاة أو الزكاة أو الحج أو الصوم ، ونحو ذلك ..

ولا يمنع من شرب المسكرات ، أو الاستمتاع بألوان من اللهو ، قد تتجاوز كل حد ..

أما في نجد ، فالتناس يكرهون على الصلوات المفروضة ، بل يكرهون على ادائها في المساجد جماعة ، وعلى اداء الزكاة الخ ..

والناس ، في نجد ، يمنعون من شرب الخمر ، ولا يسمع لهم بالاجتماع في أماكن مخصوصة لسماع الغناء أو مشاهدة النساء يرقصن ويلعبن ويعرضن أجادهن ، بل كانوا يحظرون عليهم ما هو أهرن من ذلك ، وما كانوا يتساهلون إلا في أشياء محدودة جداً ، قال الشيخ عبد اللطيف :

« يحل كل لعب مباح ، لأن النبي (ص) أقر الجشة على اللعب في يوم العيد في مسجده ..

ويحل الرجز والحداء ، في نحو العمارة والتدريب على الحرب بأنواعه ، وما يؤثر الحماسة فيه كطبل الحرب .. دون آلات الملاهي ، فانها محرمة ، والفرق ظاهر .

ولا بأس بدف العرس ، .

في كل بلاد العالم قوانين موضوعة يلزم الناس باتباعها بالقوة ، أما الدين فلا تلزم الدول رعاياها باتباعه ، وإنما تكل أمره الى ضمائر الناس ، من شاء اتبع أحكامه ومن شاء أهملها ..

وليس الأمر هكذا في نجد ، فالشرع هنا هو : نظام الدولة وقانونها ، وليس لها نظام غيره .

المحتسب والمطوع

ولم يكن هذا شيئاً ابتكرته نجد لنفسها أو ابتكره لها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وإنما هو ارت أو تقليد قديم ، أصيل ، فالدول الاسلامية ، قديماً ،

كانت كلها قائمة على أساس الشرع الاسلامي وحده .
وكان فيها منصب يسمى : « الحسبة » ، ويسمى صاحبه : « المحتسب » ،
وعمله : تطبيق القاعدة الدينية العظيمة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
وكان مع المحتسب أعوان ، يراقبون العبادات والأخلاق العامة والتجار
وأرباب الحرف والأسعار والموازن والطرق والمباني ، الى غير ذلك .
فراقبتهم للعبادات : أن يسوقوا الناس الى صلاة الجمعة والجماعة والأعياد ،
ويمنعهم من الافطار علنا في رمضان الخ ..

ومراقبتهم للأخلاق : أن يريقوا الخمر ، ويكسروا المعازف ، ويمنعوا اللعب
بالنرد والشطرنج ، وتطير الحمام ، وعمل التماثيل والصور للكائنات الحية ، وكانوا
يمنعون اجتماع الناس على السحرة والمشعوذين والمتكلمين بالغيب ، ونحو هذا ..
ثم منعوا المحتسين من مراقبة العبادات ، وقصروا مهمتهم على مراقبة الصنائع
وأرباب الحرف والموازن والأسعار والأبنية وما يتصل بذلك ، وهو داخل اليوم
في اختصاصات البلديات ووزارات الصحة .

ثم أبطلت الحسبة ، وأهملت الدول الاسلامية أمور الدين ..
وبقيت نجد متمسكة بالشرع ، محتفظة بالحسبة ، ويسمى المحتسب ، في نجد :
المطوع .

وكانت كلمة « مطوع » ، تطلق على الرؤساء الذين حلوا محل المحتسين ، ولكنها
تطلق الآن على الأعوان ، وهم بمثابة الشرطة الدينية أو الأخلاقية ، ولهم رؤساء ،
ويطلقون اليوم على هذه التنظيمات اسم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
وهي تابعة لمنصب المفتي الاكبر للمملكة العربية السعودية ، الذي يقوم عليه عالم
من آل الشيخ .

ان عمل المطوع هو حمل الناس ، بالقوة عند الضرورة ، على تنفيذ أوامر الدين ،
ومنع المنكرات .

ولا شك في أن عمل المطوعين ، أو « المطوعة » ، يتغير بتغير الأزمنة ، شدة
وتراخيا ، وانكماشاً واتساعاً : فقبل عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكن

للمطوعين كبير أثر في حياة نجد ، ولعلمهم كانوا يحملون كثيرا من المنكرات ،
يظنونها من الدين ..

وبعد استقرار الأمور للشيخ ولأمراء آل سعود ، أصبح المطوعون منفذين
لأوامر الدين ونواهي ، كما بينها لهم الشيخ .

وربما تشدد بعض المطوعين أحيانا شدة منفرة مؤذية وهذا لا يعني أن النظام
كله غير صالح ، وإنما يعني دخول الفساد على بعض الموظفين ، وليس ذلك خاصا
بفئة المطوعين ، ولكن كثرة اتصالهم بحياة الناس اليومية يوجب السهر الموصول
على سلوكهم والعناية الشديدة باختبارهم وتعليمهم واجباتهم .

الأكراه على الصلاة

أهم ما يفعله المطوعون : سوق الناس الى الصلاة في المساجد .
هذا الأمر أكثر شيء يلفت أنظار الأجانب الذين يزورون البلاد العربية
السعودية ، وهو شيء لا يعرفونه في بلادهم ، وذلك أن المطوعين ، المسلحين
بالهراوات ، يخرجون الى الطرق ، عند اقتراب مواعيد الصلاة ، ويحملون التجار
على اغلاق حوانيتهم والنهاب الى المساجد ، ويفعلون مثل ذلك بمن يشاهدونه من
المارة ، ويذهب بعضهم الى الدور يقرعون أبوابها ويهيبون بأصحابها للخروج الى
المساجد لتأدية الصلاة ، وكان عند أئمة المساجد جرائد بأسماء سكان محلاتهم ، يقرأون
أسماءهم ليعرف من تخلف منهم عن الصلاة ، فمن تخلف عنها بغير عذر مقبول نزلت
به العقوبة المستحقة .

لا يشك أحد في أن الصلاة ركن من أركان الاسلام ، وفرض عين على كل
مسلم ، ولكن الدول الاسلامية ، وخصوصاً تلك التي تفرق بين الشرع وبين
القانون ، لا ترى من حقها ان تسوق الناس بالقوة الى المساجد ، وليس ذلك بسبب
قول بعضهم ان صلاة الرجل في داره صحيحة ، ولكنها ، كما أسلفنا ، ترى نفسها
حارسة للقانون لا للشرع .

مكافحة المنكرات

لا نعني بمكافحة المنكرات ، مكافحة السرقات ونحو ذلك ، بما تقوم به دوائر الشرطة ، وإنما نعني بالمنكرات ما هو متصل بسلوك الأشخاص وأخلاقهم ، وخصوصاً « تصرفاتهم » التي لا عدوان فيها على أحد ، ولكنها تعد منافية للدين والعرف ، كخروج امرأة مثلاً الى الشارع شبه عارية ، أو تعاطي أحدهم المسكرات .. من الأمور التي تلفت نظر الأجانب في البلاد السعودية ، حتى اليوم ، خلوها من الملاهي والحانات والمقاهي المجهزة بأدوات اللعب ، والمسارح ودور السينما ، ونحو هذا ، بحيث يمكن القول ان نوعاً من التقشف قد فرض على حياة الأفراد . يضاف الى ذلك قيام المطوعين بمنع عرض الصور ، والغناء غير الوقور .. أو اجتماع بعض الأفراد على حالة غير مرضية ، وما يشبه ذلك من المفاصد .. شيء من هذا « الوقار » في مظاهر الحياة العامة ، نجده في حاضرة الفاتيكان ، مقر البابا ، أعظم رئيس ديني مسيحي في العالم ، وقد فرض أيضاً على مدينة روما ، التي تقوم حاضرة الفاتيكان في طرف منها ، بالدولة تحظر ظهور النساء في ملاهي روما لعرض أجادهن والقيام برقصات وحركات « خليعة » مستهترة ، ونحو هذا من المفاصد التي لا تليق بجمرة بلدة يقوم فيها مركز الكاثوليكية في العالم . ويفهم الأجني أن تحافظ البلاد العربية السعودية ، وفيها الأماكن المقدسة ، وهي الدولة القائمة على أساس الشرع ، على الأخلاق الاسلامية ، وتمسك ، ما استطاعت ، بتراثها الأصيل ، ولكن السيادة الشرعية نفسها تستوجب معالجة هذا الأمر بحكمة ، حتى لا تنشأ عن الشدة مفاصد قد تفوق التراخي والتساهل ، لأن « الكبت » ، يعقبه الانفجار .

وقد أدركت حكومة البلاد السعودية هذا الأمر ادراكاً واعياً ، فأخذت تساهل في مسائل النسلية البريئة ، حتى لا ينصرف الناس في السر ، ان لم نقل في العلن ، الى ما هو أسوأ ، فالراديو والتلفزيون منتشران اليوم في البلاد ، ويستطيع الناس الاستماع ، وهم في دورهم ، الى الأغاني ورؤية الأفلام والمرحيات ، وربما

أذنوا في مستقبل غير بعيد بافتتاح دور لسينما تعرض أفلاماً مقبولة ، وغير ذلك ، في تطور هادئ رصين موزون .

آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يظن بعض الناس ، لما يرونه من شدة المطوعين أحياناً ، أن هذه الشدة ملازمة لقاعدة « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، وهذا وهم .
فلهذه القاعدة آداب وسياسات متى أحسن فهمها واتباعها ، ضمن ذلك للمجتمع الاسلامي حياة سليمة رغيدة . وللشيخ محمد بن عبد الوهاب كلام في هذه الآداب ، يعد من أحسن وصاياه ، ويكشف عن سياسته الشرعية القائمة على الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما أمر الله تعالى ، لا كما يتوهم الجبهة .

وصايا الشيخ

قال ، رحمه الله ، في رسالة إلى أهل سدير :
« إن بعض أهل الدين ينكر منكراً ، وهو مصيب ، لكن يخطيء في تغليب الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الاخوان ، وقد قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، الآية الكريمة .

وقال محمد (ص) : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تصاحروا من ولاء الله أمركم » .

وأهل العلم يقولون : إن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث : أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه ، ويكون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه ،

صبراً على ما جاءه من الأذى .
وأنتم محتاجون للحرص على فهم هذا والعمل به ، فان الخلل إنما يدخل على صاحب الدين من قلة العمل بهذا أو قلة فهمه .
وأيضاً يذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره !

فإن الله في العمل بما ذكرت لكم والتفقه فيه ، فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرة على الدين ، والمسلم ما يسعى إلا في صلاح دينه ودنياه .
والجامع لهذا كله : إذا صدر المنكر من أمير أو غيره : أن ينصح برفق ، خفية ما يعلم أحد ، فان وافق ، وإلا أرسل إليه رجلاً يقبل منه بخفية . فان لم يفعل ، فيمكن الإنكار ظاهراً ، إلا ان كان على أمير ونصحه ولا وافق واستعطف عليه ولا وافق ، فيرفع الأمر (بمنّا - أي الى جهتنا - خفية ..)

وصايا ابن تيمية

وقد دعا ابن تيمية القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى التأدب بأدبين ، قال :

« أعلم ان من الأعمال ما يكون فيه خير ، لاشتاله على أنواع من المشروع ، وفيه أيضاً شر ، من بدعة وغيرها ، فيكون ذلك العمل شراً بالنسبة الى الإعراض عن الدين بالكلية ، كحال المنافقين والفاسقين .

وهذا قد ابتلي به أكثر الأمة في الأزمان المتأخرة ، فعليك هنا بأدبين : أحدهما : ان يكون حرصك على التمسك بالسنة باطناً وظاهراً ، في خاصتك وخاصة من يطيعك ، واعرف المعروف ، وأنكر المنكر .

الثاني : أن تدعو الناس إلى السنة بحسب الامكان . فإذا رأيت من يعمل هذا ولا يتركه إلا إلى شر منه ، فلا تدعو الى ترك منكر ، بفعل ما هو أنكر منه ، أو بترك واجب أو مندوب تركه أضرت من فعل ذلك المكروه .

ولكن اذا كان في البدعة نوع من الخير ، فعوض عنه من الخير المشروع

بحسب الامكان .

فتعظيم المولد واتخاذة موسماً ، قد يفعله بعض الناس ، ويكون له فيه أجر عظيم ، لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله (ص) ، كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد. ولهذا قيل للامام (أحمد) عن بعض الامراء ، إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك ، فقال : دعه ! فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب ! ..

مع أن مذهبه : أن زخرفة المصاحف مكروهة . وقد تأول بعض الأصحاب أنه أنفقها في تجويد الورق والخط . وليس مقصود أحمد هذا ، وإنما قصده : إن هذا العمل فيه مصلحة ، وفيه أيضاً مفسدة كره لأجلها ، فهؤلاء إن لم يفعلوا هذا وإلا اعتاضوا الفساد الذي لا صلاح فيه ، مثل أن ينفقها في كتاب من كتب الفجور ...

فتفطن حقيقة الدين ، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد ... حتى تقدم أهمها عند المزاخمة .

أمور مفتراة على أهل نجد

الدخان . القهوة . العادات والملابس . المولد النبوي . المنار

من يقرأ كتابات الغربيين ، وحتى العرب ، عن الوهابية ، يستغرب كثرة ما نسبوا الى أهل نجد من الامور التي لا يقولون بها ، ولا يفعلونها . من ذلك اتهامهم الرهابيين بأنهم يتشددون في المباحات ، فيحرمون مثلاً القهوة ، ويوجبون على الناس ارتداء ملابس مخصوصة ، ويكفرون من يستعمل الدخان ، أو يشهد المولد النبوي ، ويريدون إخضاع عادات الناس المباحة لما تخضع له العبادات ، الى غير ذلك . وسلم بشيء من هذه الأقوال ..

العبادات والعادات

يقول أبو زهرة وغيره إن الوهابيين لم يكتفوا بجعل العبادات كما قرّرها الإسلام ، وبينها ابن قدامة ، وإماما توسعوا في معنى البدعة ، فجعلوا من البدع عادات لا صلة لها بالعبادات ، كبعض أمور الملابس والمآكل ... وهذا زعم باطل ، فشان الوهابيين في هذا الأمر شأن سائر المسلمين السنيين . ومن كتاباتهم التي تدل على تفريقهم بين العادات والعبادات ، ما كتبه الشيخ سليمان بن سحمان ، حول العمام والملايس الخاصة التي أحدثت لرجال الدين ، فقد أنكر لزومها ، لأن رسول الله (ص) كان قبل النبوة وبعدها يلبس لباس العرب المعتاد ، ولا يتميز منهم بشيء خاص !

وأردف قائلاً : إن لبس العمام والأردية والأزر وغيرها هو من العادات ، التي هي قسم المباحات ، التي لا يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها ، لا من قسم العبادات . ولذلك لا مجال للقول بأن من يأكل كذا أو يلبس كذا ... يتدع بدعة أو يرتكب جرماً ! .

قال الشيخ عبد اللطيف : « الكلام في العبادات لا في العادات ... والمباحث الدينية نوع ، والعادات الطبيعية نوع آخر ، فما اقتضته العادة من أكل وشرب ومركب ولباس ونحو ذلك ، ليس الكلام فيه . والبدعة ما ليس لها أصل في الكتاب والسنة ، ولم يرد بها دليل شرعي من هديه وهدي أصحابه »

الدخان

ليس النهي عن استعمال الدخان من ممل « الوهابيين » ، وإنما هو اجتهاد إسلامي عام ، يتشدد فيه بعض الناس ويتسامح فيه آخرون . وقد أدخل الدخان « التتن والتبناك » إلى استانبول في أوائل القرن السابع عشر للميلاد ، فاحتج علماء الدين الاتراك عليه ، وأصدر السلطان مراد الرابع أمره بتحريمه ومعاقبة من يستعمله ، ولم يكن السلطان مراد وهابياً ! ...

وفي منطقة نجد ، من المملكة العربية السعودية ، لا يستعمل الناس الدخان إلا قليلاً ، بسبب التقاليد القديمة الموروثة ، التي بقيت آثارها الحسنة حتى اليوم ، وكان الوهابيون يتشددون في منع الدخان ، ويزعم « بلغريف » أن بعض العوام من الغلاة كانوا يعدون استعمال الدخان من الكبائر ، وليس قولهم حجة ! ولكن « بلغريف » يجد لتشدد الوهابيين القدامى في منع الدخان ، عذراً واضحاً ، وهو أن الدخان الذي كان يجلب إلى نجد ، من عمان ، كانت قوته « السمية » تفوق ثلاثين مرة قوة السم الموجود في دخان « فيرجينيا » اليوم مثلاً ... (١)

القهوة

يقول أبو زهرة إن الوهابيين كانوا يجرمون على أنفسهم القهوة ، ثم تساهلوا فيها .. ووقع بهذا الخطأ كثير من المؤلفين الغربيين القدماء ، توهموا أن شرب القهوة محرم في بلاد نجد ! والحقيقة هي أن الوهابيين لم يجرموا القهوة ، وإنما حرّموا جماعة من « الجهمية » في عمان .

وقد قام رجل منهم يدعى « عبد العزيز بن مزروع » يشكو من انتشار شرب القهوة في نجد ... وأنه من البلاوي على النجديين ، وطلب تحريم شربها ، فردّ عليه العالم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، مفتي الديار النجدية ، رداً ساخراً لطيفاً ، تضمن كثيراً من الفوائد والحكم ، فكان دفاعاً « مجيداً » عن القهوة وغيرها من المباحات .

دفاع عن القهوة !

قال الشيخ عبد اللطيف :

١ - يقول الاستاذ احمد السباعي ، في تاريخ مكة . ان الدخان ظهر في مكة عام ١١١٢ هـ .

« ... قولك : من البلاوي على أهل الوقت عامة ، وعلى أهل نجد خاصة ، في دنياهم : القهوة .

فلا أدري ما يراد بالبلاوي هنا ؟
أهي الابتلاء في الدين ، أو هي الابتلاء بالنفقة فقط ؟
فإن كان الأول فلا يسلم بمجرد الدعوى .

وإن كان الثاني ، فالناس درجات وطبقات في البسر والعسر والمعيشة ، وتوسع الأغنياء إنما يذم لوجوه لا تختص بالقهوة ، بل يجري في غير ذلك من سائر المباحات .

وأما التعليل بأن فيها مضار للأبدان ، فلا ينبغي أن يؤخذ على إطلاقه ، فإن الأبدان الدموية والبلغمية تنتفع بها بلا نزاع ، والسوداوي والصفراوي يمكنه التعديل بالتمر - الذي هو غالب غذاء أهل نجد - وقال « داود » في تذكرته : بعدلها كل حلو .

وأما قولك : وإذا كان الخمر يزيل العقل عند شربه ، فهي ، شاهدناها ، تخامر العقل عند فقدانها !

فهذا الكلام لا ينبغي أن يقال ، لأن الخمر تزيل العقل بخامرتها أي بتغطيته ، وهي - القهوة - لا تزيل العقل ولا تخامره ، بل ربما كان شاربها قوي الذهن حاد الإدراك جيد الحافظة ، والموجود عند فقدانها لا يسمى مخامرة ، وإنما كسل وفتور ، لها لا بها ...

وأما قولك : وإذا عرضت مضارها على العاقل منهم شهد بها وعابها .

فيقال : أي عاقل يراد بهذا ؟ أما العامة ومن لا عناية له بمعرفة الأحكام الشرعية ... فعقولهم لا تصلح أن تكون ميزاناً ...

وقولك : وإذا وزنتها العقول السليمة ، فلا شك أنها لمو ولعب .

- .. فاللهو واللعب ما لا يعود بمنفعة أصلاً ويعود بمضرة رجعت على مصلحته ، وإدخال القهوة في هذا التعريف يحتاج إلى أصول ومقدمات ... وما ذكرت في التعليل قد يجري في كل مباح .. وليس ذلك الوصف لازماً للقهوة .

وأما كونها لا تغني من جوع ولا تروي ..
فهذا الوصف يأتي على كثير مما كانوا يتعاطونه من المباحات ولم تأت
الشريعة بتحريم ما لا يغني من جوع ولا يروي .
وأما كون مزرعها من بلاد الكفار .

فمن كان عندكم امتناع ما زرعه الكفار ، ونسجه الكفار ، وخرج من بلاد
الكفار ، وجمهور أموالكم وما كلكم من هذا الضرب ؟
... قد كانت المدينة في عهد النبوة يجلب إليها من بلاد الكفار أنواع المأكول
والأدهان والملابس التي نسجت وصبغت ببلاد الكفار .. كما لا يخفى على من له
أدنى نظر في الأخبار .

وأما ما زعمت من ضررها على أهل الجهاد .. فمن الظراف ... وربما قيل
بعكس القضية ، لما فيها من « تشيف البلغم » وتخفيف المواد المكسلة الردية .
ولو صرف الأخ النجيب فكرته ونظره إلى ما تعطل من أصول الدين ...
لكان هذا أولى وأجدر . » - انتهى كلام الشيخ .

المولد النبوي

أنكر ابن تيمية على الناس ، في زمانه ، مضاهاتهم للنصارى واتخاذهم عيداً من
يوم المولد النبوي ، يحتفلون به كما يحتفل المسيحيون بعيد ميلاد المسيح ، عليه
السلام .

وحجة ابن تيمية في إنكاره أن هذا شيء لم يفعله السلف ، « مع قيام المقتضي
له وعدم المانع منه . ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً ، لكان السلف أحق به
مننا ، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله (ص) وتعظيماً له منا ، وهم على الخير أحرص ،
ولاءاً كمال محبته وتعظيمه : في محبته ومتابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته
باطناً وظاهراً ، ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان . »

ومع ذلك لم يتشدد ابن تيمية في إنكاره للموالد ، بل أظهر وهو يتحدث عن
أدب الإنكار ، أن « تعظيم المولد واتخاذهم موسماً ، قد يفعله بعض الناس ويكون

له فيه أجر عظيم ، لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله (ص) ...
وقد يحسن من بعض الناس ، ما يستقبح من المؤمن المسدد .
ولهذا قيل للامام أحمد عن بعض الأمراء إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو
ذلك ، فقال :

— دعه ! فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب !
مع أن مذهبه : أن زخرفة المصاحف مكروهة .
.. فهؤلاء إن لم يفعلوا هذا وإلا اعتاضوا الفساد الذي لا صلاح فيه ..
فتفطن لحقيقة الدين وانظر ما اشتملت عليه الأفعال . من المصالح الشرعية
والمفاسد .. حتى تقدم أهمها عند المزاينة .
وقد كتب الشيخ الى سليمان بن سعيد ينكر عليه حضور الموالد ، فقال :
« .. الناس يشهدون عليك أنك تروح للمولد ، وتقرأ لهم ، وتحضرهم وهم
ينخون ويندبون مشايخهم ، ويطلبون منهم الغوث والمدد ، وتأكل اللقم من الطعام
المعد لذلك .
فاذا كنت تعرف أن هذا كفر ، فكيف تروح إليهم وتعاونهم عليه وتحضر
كفرهم . » .

ويذكر الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب أن من البدع : ما اعتيد في
بعض البلاد من قراءة مولد النبي (ص) بقصائد بألحان ، وتخلط بالصلاة عليه ،
والأذكار والقراءة ، ويكون بعد صلاة التراويح ، ويعتقدونه على هذه الهيئة من
القرب .

وفي اعتقادنا أن الشيخ وابنه عباده إنما تشددا في إنكار الاحتفال بالمولد
النبي ، لأنه كان مقام على شكل مخصوص لا تراعى فيه الأوامر والآداب
الدنية ، أما إذا اكتفى الإنسان في يوم المولد النبوي بقراءة سيرة النبي (ص)
ورواية أحاديثه وتعداد فضائله لمجرد الذكرى والاعتبار ، فما الضرر في ذلك ،
وإن كان السلف لم يكونوا يفعلونه ؟

ان البدعة في العبادات ، فإذا تجرد المولد من فكرة العبادة والقربة ... لم
يبق مجال للتحدث عن البدعة والابتداع ، والله أعلم !

المنار

وقالوا : ان الوهابيين يهدمون المآذن ويستكرونها ، ولا يتخذونها في
مساجد ، لجرد أنها لم تكن موجودة في زمان النبي (ص) .
وقد ردت على هذا الزعم الشيخ عبد الطيف ، فقال :
« هذا أيضاً من البهت ، فالمنار موجودة مشيد بنجد الآن . وليس وجود المنار
شرطاً في الإسلام ولا واجباً ، وفي استعباده نزاع لعدم وجوده في عهده (ص) .
وكان المؤذن يتحرى أعلى المسجد وسطحه ليحصل الإسماع . » .

المحمل

من العادات أو « المراسم » المشهورة التي كانت تبرز في موسم الحج من كل عام ، في البلاد العثمانية : المحمل .

والمحمل : حمل ، ينصب عليه « هودج » ، ويزين بأنواع الزينة ، يجعلونه في مقدمة الراكب ، أي قافلة الحجاج ، ويحيطونه بكل مظاهر الحفاوة والتكريم ، كأنه رمز حي للحج !

وربما جعلوا خلفه فرقة من الموسيقيين تضرب على آلاتها النحاسية وتتفخ في الأبواق وتقرع الطبول ، زيادة في التعظيم ... والتجسيم !

وهذه العادة لا خطر منها ، لو أنها كانت مجرد عمل من أعمال الأفراد ، يقومون به عفواً ، ولكنهم جعلوه كالسنة المتبعة ، أو الفريضة الشرعية ... وبالغوا في الاحتفال به مبالغة كبيرة ، وأقاموا له « الموظفين » المختصين بالعناية به ، حتى توهم العامة أن المحمل جزء من فريضة الحج ... أو مقدمة له لا يستغنى عنها !

ومن المعروف أن السلفيين وخاصة الحنابلة منهم كانوا ضد هذه الطقوس المبتدعة ، التي لا تخلو من شيء من المظاهر الوثنية .

وقد تشدد الإمام سعود الكبير في منع المحمل العثماني من دخول مكة بأمره المعهودة ، وحاشيته الموسيقية ، وحرسه المسلح ، وعدّ ذلك مخالفاً للشرع ، وربما كانت له وراء ذلك أغراض سياسية أيضاً ...

وفي عهد المغفور له الملك عبد العزيز ، حاول المصريون أيضاً تجديد مراسم الحمل ، مع أن أبام الحج على الجمال مضت وانقضت ، فوقفت الحكومة السعودية أمامهم تحول دون ذلك ، وكادت تقع بسبب الحمل فتنة كبيرة ، لولا حكمة الملك عبد العزيز ومعاونه ، ويمكن القول ان هذه العادة قد زالت الآن ... بفضل مقاومة الحكومة السعودية لها أولاً ، وثانياً : بفضل تحول الناس عن ركوب الجمال إلى الطائرات والسيارات والبواخر .

ماکتب عن الوهابیۃ

أول كتابه ظهرت في أوروبا عن الوهابية

Description de L'Arabie

Par

Karsten Niebuhr

أول كتاب ظهر في الغرب ، تحدث فيه صاحبه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، خلال حياته ، هو كتاب « وصف جزيرة العرب » ، للرحالة الدانماركي المستشرق : « كارستك نيبوهر » ، الذي زار اليمن ثم سواحل الخليج العربي ، والبصرة ، ومدناً أخرى في العراق والشام ؛ ولكنه لم يستطع الوصول إلى الدرعية ، ليحقق أملاً غالياً في لقاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود .. فاكتمى بنقل ما سمعه من أخبار نجد والحركة الوهابية ، وهو في البصرة . وليست أخبار نيبوهر كثيرة ولا خطيرة ، ولكن قيمتها في أوليتها وسبقها ، وأنها غير بعيدة كثيراً عن الحقيقة ، وأدنى إلى الإنصاف مما كتبه بعض الشرقيين ..

وهذه هي ترجمتنا للفقرات التي تحدث فيها نيبوهر عن الحركة الوهابية ، وربما أشير إليها في كتب عربية أخرى ، ولكن أحداً ، فيها نعتقد ، لم يسبقنا إلى ترجمة نصها الكامل :

« كان سكان المدن والقرى في نجد ، كلهم ، سنين من أتباع ابن حنبل

— باستثناء عدد يسير من النصارى واليهود ، والشبعة ، في هجر .
ومنذ بضع سنوات ، نشأت في العارض فرقة جديدة ، بل ديانة جديدة ،
ستحدث مع مرور الأيام تغييرات واسعة في معتقدات العرب وأسلوب حكمهم .
ومؤسس هذه الديانة هو : « عبد الوهاب » ^(١) ، الذي ولد في نجد ، ودرس في
شبابه علوم العرب في موطنه ، ثم عاش بعد ذلك سنوات في البصرة ، وقام برحلة
إلى بغداد والعجم .

ولما عاد إلى نجد ، دعا أبناء وطنه إلى أفكاره الدينية الجديدة ، وقد حالفه شيء
من التوفيق ، إذ استطاع أن يستميل إليه عددا من شيوخ العارض . أما الجمهور ،
فمن عاداتهم أن يتبعوا الرؤساء ، ولذلك أصبحوا من أتباع هذا الفقيه الجديد ،
تقليداً لرؤسائهم .

كان شيوخ العارض المستقلون في قتال دائم ، فلما اعتنقوا الدين ، أصبحوا
بفضل عبد الوهاب أصدقاء وأخواناً ، وتعاهدوا على طلب المشورة من زعيمهم
الديني الجديد قبل الإقدام على أي عمل ذي بال ، كما تعاهدوا على الالتزام بأوامره .
وبهذا اختل التوازن السياسي الذي كان قائماً بين إمارات العارض الصغيرة ،
لأن الشيوخ الذين كانوا قادرين على الصمود أمام جيранهم ، لم يعودوا قادرين على الوقوف
أمام هذا العدد من الشيوخ المتحالفين ، وأصبحت الحروب أكثر عنفاً ، لأن كل
واحد من الطرفين يعتقد أنه إنما يخوضها في سبيل الدين ، وأنه إنما يجارب ملاحدة
أو كفاراً ، يريدون الاستمرار في ضلالهم !

ولما رأى الشيوخ المستقلون ، الذين لم يدينوا بالطاعة لعبد الوهاب ، أنهم
عاجزون عن مقاومته ، لضعفهم وانقسامهم ، استدعوا « عرعر » ، شيخ الأحساء ،
لمؤازرتهم ، فهب شيخ الأحساء لنجدتهم ، ولكنه لم يفعل ذلك لجرد أنهم أبناء دينه ،
ولما خاف أن يصبح أنصار الديانة الجديدة على درجة من القوة تحملهم على غزو
بلادهم نفسها !

١ — عبد الوهاب ، هو اسم والد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكن الغربيين ألفوا تسمية
الأفراد بأسماء أسرهم أو آبائهم .

« وهنا يتحدث نبيهر عن هزيمة جيش الأحباء ، ثم عن جيش نجران ، وقد استشهدنا بهذه الفقرات من كتابه في وصفنا لمعارك محمد بن سعود ، فليرجع إليها هناك . » ، ثم يقول :

لم نضعني الفرصة في الاتصال مباشرة بأتباع عبد الوهاب ، فلا أستطيع أن أقول شيئاً موثقاً في موضوع عقائدهم .

أما السنيون الآخرون فكانوا خصومهم ، ولذلك يحاولون عرض دياتهم عرضاً مشوهاً ، إما ليغضوا بها ، وإما ليحملوا الأجانب على الاعتقاد بأن الفرق بين الديانة الجديدة وبين الديانة القديمة غير كبير من حيث الأسس .

ومن هؤلاء الذين لا يرون فرقاً بين الديانتين : رجل من أدباء البصرة ، كان يؤكد لي أن أتباع عبد الوهاب يصلون كما يصلي سائر المحمديين ، وأن محمداً عندهم هو النبي ، وأن الفرق بينهم وبين السنيين هو أنهم لا يريدون الاعتراف بأولياء السنيين ..

ويمكننا أن نستنتج من هذه الأقوال أن عبد الوهاب إنما علّم الناس عقيدة السنيين الصافية ، فأكبر فقهاء السنة كانوا ينكرون التوسل بمحمد أو بأي واحد من الأولياء ، لأنه لا يجوز في اعتقادهم أن يدعى غير الله .

وقال لي شيخ مكاري يؤجر جماله ، زار أم بلدان نجد ، بل رأى الجزيرة العربية كلها ، وزعم لي أنه يعرف الديانة : إن عبد الوهاب علّم أتباعه أن الله وحده هو الذي يجب أن يُدعى ويُعبد كخالق ومدبر للكون ، ومنعهم أن يشرّكوا في الدعاء اسم محمد أو أي نبي أو ولي ، أو اسم عبد الوهاب نفسه ، لأن ذلك من الوثنية .

وأضاف محدثي : إن عبد الوهاب يرى أن محمداً والمسيح وموسى وسائر الأنبياء هم رجال عظماء وجديرون بكل اجلال ؛ ولكنه لا يعتقد بوجود كتاب ، كـتِيبٍ بوحى من السماء ، أو أنزل بواسطة جبرائيل (١) .

١ - يعني أن محمد بن عبد الوهاب لم يقل قط إن دعوته كانت رحيماً أو أن كتاباً أنزل إليه . والا فلا يعقل أن ينسب رجل ، مهما يبلغ به الجهل - إلى محمد بن عبد الوهاب أنه ما كان يعتقد بوجود كتب منزلة ..

قال نيهير: « لا أعلم إن كنت أستطيع الوثوق بكلام هذا البدوي، لأن البدو يقولون عن أنفسهم إنهم محمديون، ولكنهم لا يعرفون محمداً ولا يفهمون القرآن . »

(أوائل الكتب الغربية عن نجد والوهابية)

إن كان المؤلفون القدامى عجزوا عن فهم الدعوة الوهابية ، كما ينبغي لها ان تفهم ، فمن الحق أن نعتزف لهم بأنهم كانوا أقرب إلى إنصاف الشيخ وتقدير حركته ، من كثير من أبناء البلاد العربية والإسلامية ، في عصره وبعد عصره ، وقد أتى غير واحد من الأوربيين على الشيخ ودعوته ثناءً عظيماً ، وبالف بعضهم في أمره ، فوصفه بأنه « نبي » وأراد آخرون أن يشبهوه بما عندهم ، فقالوا إنه « بابا » المسلمين ، وقال بعضهم إنه مصلح ديني ، من طراز « لوثر » أو « كالفان » ، اللذين قاما بالدعوة إلى تنقية المسيحية بما دخل عليها في العصور المتأخرة .

كان الانكليز أكثر الأوربيين عناية بأمور الجزيرة العربية الوسطى ، لاتصالها بمناطق نفوذهم في الخليج الفارسي ، ولكن الافرنسيين سبقوهم كثيراً إلى الكتابة عن نجد ، وعن الحركة الوهابية ، ففي عام (١٨٠٤) نشر « كورانسيه » في مجلة « لومونيتور » الباريسية سلسلة مقالات عن الوهابيين ، ثم جمعها عام (١٨١٠) م . في كتاب أسماه « تاريخ الوهابية » .

وفي عام (١٨٠٦) أصدر « جان ريمون » كتاباً بعنوان « مذكرات عن أصل الوهابيين » .

وبعد قليل أصدر « روسو » كتاباً أسماه : « مذكرات عن الفرق الإسلامية الثلاث » .

وفي عام (١٧١٨) ألف « أوغوست دونارسيا » كتابه : « رسالة صغيرة عن العرب ومذهب الوهابيين » .

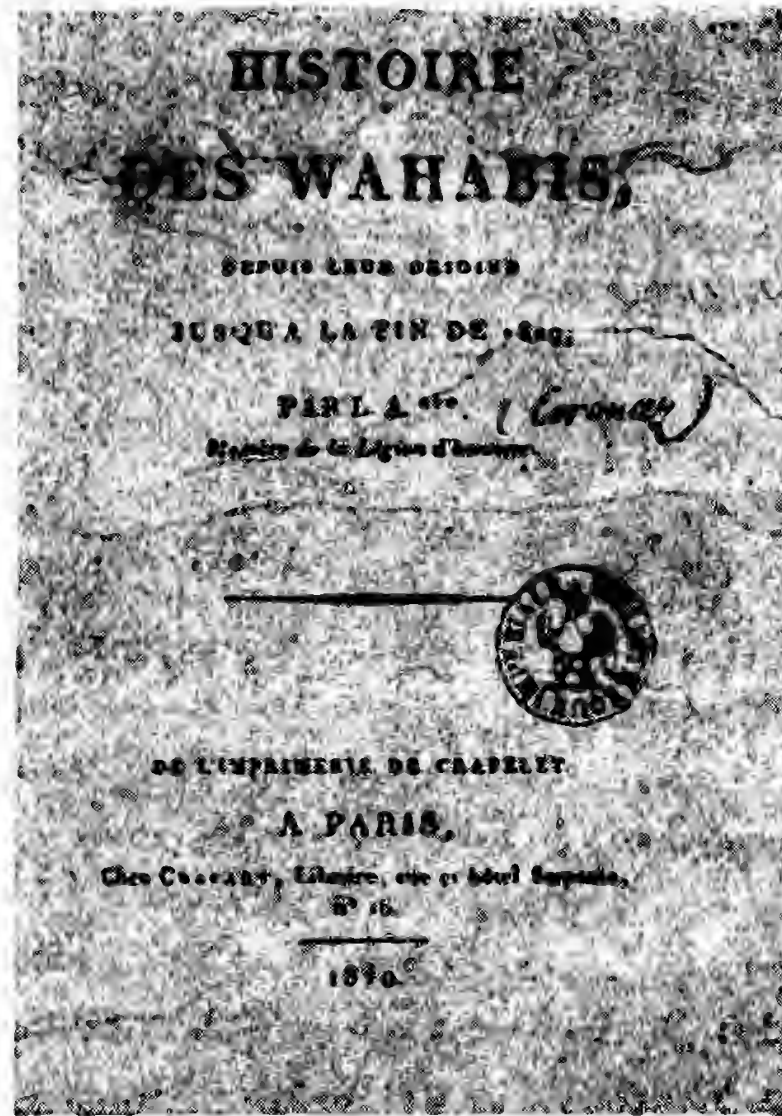
ثم أصدر « جومار » ثلاثة كتب عن نجد والعرب وهي :

١ - تاريخ الوهابيين .

٢ - رسالة عن بلاد نجد .

٣ - دراسات جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب عام ١٨٣٩ م .

أول كتاب ظهر في أوروبا عن الوهابية



صورة فوطوغرافية لنصف كتاب كورانسيز

تاريخ الوهابيين

تأليف أوليفيه ده كورانسيز

أول كتاب غربي وضع كتاباً عن تاريخ نجد ، منذ ظهور الحركة الوهابية ، هو

الكاتب الفرنسي : أوليفيه ده كورانسيز ، ونشر هذا الكتاب في باريس عام ١٨١٠ م. أي بعد سنوات قليلة من استيلاء الوهابيين على مكة ، فكان له دوي هائل ، وأخذ عنه المؤرخون والكتاب وأصحاب المجلات والصحف .

كان كورانسيز عضواً في البعثة العلمية التي صحبت الامبراطور نابوليون بوناپورت الى مصر ، ثم أقام مدة في حلب ، قنصلاً لفرنسا فيها ، وهناك جمع مواد كتابه عن الوهابيين ، وهو الآن شبه مفقود ، ولكننا ظفرنا بنسخة منه في دار الكتب الوطنية بباريس وصورناها ، وسنقوم بترجمتها وطبعها إن شاء الله .

وحسبنا الآن ، تقديرأ لأولية هذا الكتاب ، ان نترجم مقدمته الى العربية ، وسيجد قارئ كتابنا ، في فصول متفرقة ، أقوالاً وأخباراً أخذناها عن كورانسيز . قال المؤلف الفرنسي ، في مقدمة كتابه :

ان اسم الوهابيين اليوم جد معروف في أوربا ، والناس حراس على معرفة أحوالهم ، ومن هنا قيمة كتابنا وخطره .

إن هؤلاء العرب مدعوون إلى القيام بدور عظيم في التاريخ ، فاذا حققوا هذا الأمل ، فمن الخير أن يعرفهم الناس منذ اليوم ، لأن عناصر العظمة ، لكل شعب ، إنما تلتبس في أول أمره ، ومطلع فجره ...

أما إذا بقي الوهابيون منطوبين على أنفسهم في جزيرة العرب - وهم اليوم سادتها - فقد فعلوا أشياء جلية جداً ، تستوجب تخليد ذكركم !

لقد أقمنا في حلب ثمانية أعوام ، أنفقنا خلالها خير جهدنا وأحسن وقتنا في جمع المعلومات الصحيحة ، عن نشوء السلطنة الوهابية ، وتطورها ، وحالتها الحاضرة . ولعل صعوبة عملنا أفضل عذر نقدمه بين أيدي القراء عما يجدون في كتابنا من نقص أو خطأ .

لم يكن الناس يعرفون شيئاً عن الوهابيين في أوائل هذا العصر ، إلا القليل الذي كتبه « نيسر » عنهم ، ثم جاء استيلاؤهم على مكة ، بشيواهم الدنيا كلها بأمرهم .

نشرنا في أكتوبر من عام ١٨٠٤ تاريخاً موجزاً للوهابيين في جريدة «لومونيتور»

فنقلته عنها مجلات وصحف كثيرة . وهو أول تاريخ لهم يُنشر في فرنسا . وكان أكبر عون لنا في عملنا : مسيحي ماروني من أسرة « فرنجية » ، وإفرنسي يدعى « ريبون » ، كان يعمل ضابطاً للمدفعية ، في بغداد ...

ليس من غایتنا أن نتلمس مصدر الوهابية في حركات سبقتها ، فقد قيل ، مثلاً ، إنهم ورثة القرامطة ، الذين كانوا يسيطرون على البحرين ، وأقدموا على سرقة الحجر الأسود من الكعبة ؛ وقد يكون صحيحاً أن الدروز والنصيرية والمتسالة والإسماعيلية تأثروا بالقرامطة ، ولكن نسبة الوهابيين إليهم غير صحيحة إطلاقاً ، لأن القرامطة شوّهوا دين الإسلام ، وأما الوهابيون فقد نقّوا الإسلام بما أدخل عليه من تشويه وأعادوه إلى بساطته الأولى وصفائه ، فهم والقرامطة ضدان ! .

لم يظهر الوهابيون إلا منذ خمسين سنة ، ولكن هذه السرعة الهائلة التي اتسمت بها فتوحاتهم ، ضماناً كبيرة لبقايتهم وعظمتهم !

إن الحركة الوهابية قريبة من زمن نشأتها ، ومع ذلك لا نعرف من أخبارها إلا القليل ، لأن العرب يتقاتلون دائماً ، ثم ينسون ما صنعوه ، أو لعلمهم ينسون ما كانوا يعدونه أمراً تافهاً غير جدير بالتدوين والحفظ .

وهكذا غابت عنا أوصاف المعارك الأولى الصغيرة التي خاضها الوهابيون ، والصعوبات التي وقفت في طريق سيرهم ، وقد تبقى محاولة إلى الأبد .

الشمس الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، خارج نجد ، أميراً أو « باشاً » بحمي دعوته فلم يجد ضالته ، لا في دمشق ، ولا في بغداد ، ولا في البصرة ، فعاد إلى نجد ، وهنا تحقّق حلمه ، فقام محمد بن سعود بحمايته ونصرة دعوته .

كان المسلمون يومئذ يارسون أشكالا غريبة من العبادات ، بحيث لو عاد « محمد » إلى الدنيا ، لظن أن الإسلام زال منها ، ولرأى شيئا عجيباً ... فالصلاة نفسها صارت لها « طقوس » جديدة ... وعلى القبور تقام القباب والمباني ، ويُرْزَعَم أن لأصحابها كرامات أو معجزات ... وهناك وسطاء بين الله والناس يقبلون الرشوة . وجانين يتنقلون في البلاد بحرية ولا يجرؤ أحد على مقاومتهم ، لأنهم ، فيما

يزعمون ، من أصحاب « السر » أو أهل الخطوة ... وأما القرآن الخالد فقد فسروه تفاسير مذهلة غابت فيها حقيقته ! ...

أعاد محمد بن عبد الوهاب - وهو من « مضر » عشيرة النبي محمد - الإسلام إلى حالة يعرفها النبي ولا ينكرها .

.. وبما ساعد الوهابية على كسب الأنصار أن الناس مولعون دائماً بالجديد ، محبون للتغيير !

حرمت الوهابية كثيراً من متع الحياة ومباهجها ، فأغضبت بذلك فريقاً من الأغنياء ، ولكنها أرضت الفقراء ، لأنها قربت المسافات بينهم وبين الأغنياء ، الذين ما عادوا يستطيعون تبذير ثرواتهم على الخمر والفجور ، وغير ذلك من مظاهر الترف التي كانت تثير أعصاب الفقراء !

وكان مقدراً للوهابية أن تتوسع كثيراً ، ولكن تشدد بعض رؤسائها في تطبيق أفكارهم حال دون ذلك ، . - انتهت المقدمة ، وقد ترجمناها بتصرف يسير .

أخطاء كورانسيز

تورط (كورانسيز) مع شدة تحريه ، وحسن نيته ، في عدة أخطاء لعلها نشأت عن أكاذيب خصوم الوهابية الذين كانوا ينقلون إليه روايات باطلة كثيرة لم يستطع محيضا كلها ، فمن أخطائه :

١ - قوله إن الوهابيين حذفوا الشطر الثاني من الشهادة وهو : « محمد رسول الله » واكتفوا بالشطر الأول : « لا إله إلا الله » .

٢ - وقوله إن الشيخ دعا إلى التمسك بالقرآن ، دون الحديث .

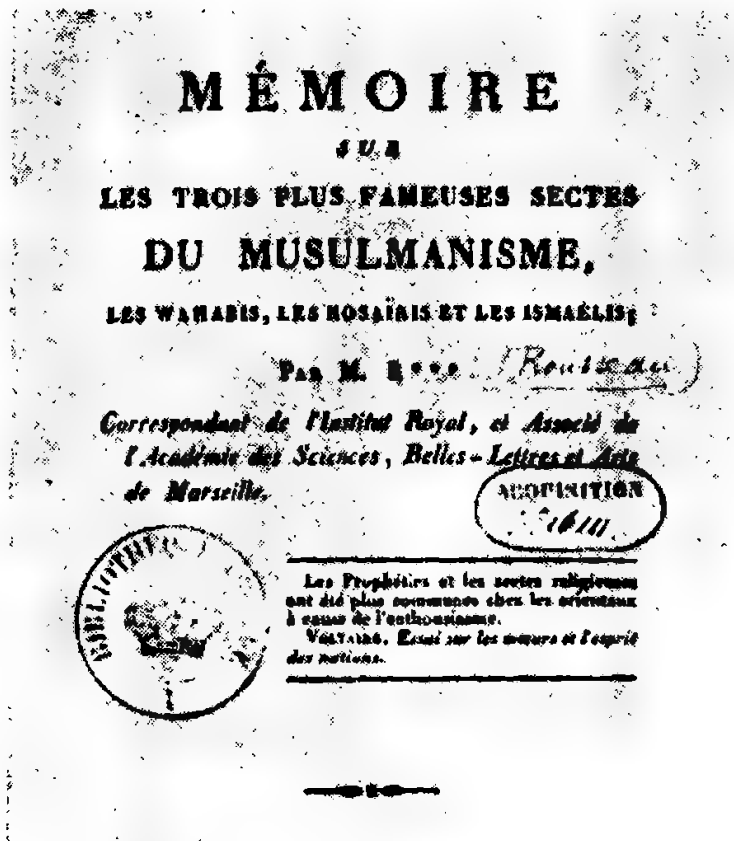
٣ - وقوله إن المسلمين عامة ينظرون إلى محمد كرسول ونبي ، وإن الوهابيين ينظرون إليه كرجل حكيم ليس أكثر .

٤ - وقوله إن الوهابيين يحترمون اليهود والمسيحيين أكثر من احترامهم للمسلمين المنتمين إلى المذاهب الأخرى .

هـ - وقوله إن الوهابيين يقتلون من يستعمل الدخان .
وقد تناقل المؤرخون والكتاب الغربيون أقوال (كورانيز) ، وهي في
جملتها ، تصور الشيخ محمد بن عبد الوهاب في صورة مصلح ديني ، يكافح الحرافات
والبدع ، ولكنه متشدد في ذلك !

روسو

أشهر المذاهب الإسلامية الثلاثة



A PARIS,
 Chez A. NAYEU, libraire, passage des Panoramas,
 N.º 26.
 Et à MARSEILLE,
 Chez MASVERT, libraire, rue le Fort.
 1810.

صورة فوطوغرافية لكتاب روسو

ومن أوائل الكتب الفرنسية ، التي تحدثت عن الوهابية ، وقارنتها بالاسماعيلية والنصيرية لتظهر اختلافها عنهما ، خلافاً لمزاعم بعض المؤلفين العثمانيين ، كتاب ألفه

الكاتب الفرنسي روسو ونشر عام ١٨١٨ م . وهذا شيء مما كتبه عن الوهابية :
« إن نظرية محمد بن عبد الوهاب بسيطة جداً ، فهو يدعو إلى عبادة إله واحد ،
ويقول إن الله هو مصدر ما يعيب الناس من خير ومن شر ، وإن أحداً لا
يستطيع أن يتوسط بين العبد وبين خالقه ليغير القضاء والقدر ، وإن الموتى ليسوا
أكثر من تراب ، فهم لا يضرون ولا ينفعون ، وتوجيه الأدعية إليهم والبناء على
قبورهم عبثٌ بل شرك ، وقد بدأ النصارى بمثل هذا وانتهوا إلى جعل المسيح إلهاً
يعبدونه .

... أحلت الوهابية أتباعها من رابطة الولاء نحو الخليفة العثماني .
وهي تحرم الخمر والدخان ، ولكنها تحل القهوة وتتساهل في أمر الملابس ،
وأما الشعر ، وخاصة اللحى ، فإنهم يقصونه بالمقصات ، وهكذا كان يفعل اليهود
المتعصبون ، المتمسكون بعاداتهم القديمة .

وهم لا يغسلون أيديهم بعد الطعام ، حتى يذكر الإنسان دائماً نعمة الله عليه !
ويقال إن الوهابية تتساهل مع المسيحيين أكثر من تساهلها مع المسلمين ، وهذا
غير صحيح !

فقد علمنا أن رجالاً من باريس ، أرادوا العودة إلى بلادهم بطريق فارس ،
فاستولت على سفينتهم عشيرة « القواسم » ولم يستطيعوا إنقاذ حياتهم إلا بالدخول
في الوهابية وقبول « الحتان » ...

ولما هاجم الإنكليز القواسم ، استنجد هؤلاء بالباريسيين ، فاستعملوا الأسلحة
النارية ضد الإنكليز ، وكان ذلك وسيلة لإرضاء ضمائرهم بمقاتلة أعداء وطنهم أكثر
منه وسيلة لاسترضاء القواسم .

وأصبح الوهابيون أكثر تسامحاً مع المسيحيين ، بعد أن اكتشف معود
الكبير أن أهل الكتاب غير ملزمين بتغيير دينهم ، وإنما يجب عليهم دفع الجزية ..
وفي هذا له كسب مادي لم يكن ليزهد فيه !

ميشو

تكلم « ميشو » عن الوهابية في كتابه : La Biographie Universelle « التراجيم الكونية » . وكان مصدره الأول ، فيما نعتقد ، كورانسيز ، وهو يعرف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بأنه « نبي » ، يزعم أن شعار الوهابيين هو : « العقيدة أو الموت » ، وإنهم كانوا يخرجون المغلوبين بين القتل ، وبين متابعتهم ! ثم يلخص عقيدتهم قائلًا :

« إن عقيدة الشيخ محمد هي الإسلام في صفاته الأول . وهو يقبل القرآن ، ولكنه يرفض الأحاديث ... »

وهو ينظر إلى المسيح ومحمد والأنبياء كحكماء ولا يقوم بأي نوع من العبادة نحوم !

أما الشهادتان ، فيأخذ منهما القسم الأول ، وهو : « لا إله إلا الله » ، ويترك القسم الثاني ، وهو : « محمد رسول الله » !

ويقول : لا حج إلا إلى الكعبة ! « التي كان العرب يقدمونها منذ أقدم الأزمان »

وقد منع الجنائر وما يخرجونه فيها ، وأمر بهدم الأبنية والقباب المقامة على قبور الشيوخ والأولياء والصالحين .

مانجان

بعد المؤرخ الافرنسي « مانجان » ، في نظرنا ، أفضل المؤرخين الغربيين القدامى الذين كتبوا عن نجد والوهابية ، وفي كتابه : « تاريخ مصر » ، فصل خاص بعنوان : « تاريخ الوهابية » وملحق في جغرافية نجد ؛ ومزية هذا المؤرخ شدة تحريه للحقائق و « موضوعيته » ، وبما ساعده على جمع « المعلومات الصحيحة » عن نجد أنه أقام في مصر مدة اجتمع فيها بعدد من أفراد أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمراء السعوديين ، الذين كانوا يعيشون هناك منفين ، ولذلك نقلنا عنه كثيراً في هذا الكتاب .

وهذا تلخيص موجز لما كتبه عن دعوة الشيخ :
« كانت تعاليم هذا المصلح مؤسسة على مبادئ أخلاقية سليمة ، تدعو مواطنيه إلى عبادة الله ، وحده ، والتوجه إليه وحده بالسؤال والدعاء .
وكان يأمر بإقامة الصلوات خمس مرات في النهار ، وصوم رمضان ، والحج إلى مكة ، والزكاة .

وكان يحرم المشروبات الكحولية ، والزنا ، والميسر ، والربا ، والسحر .
وكان ينهى عن التدخين ، ولبس الحرير ، والذهب والمجوهرات - إلا للنساء - كما ينهى عن إقامة القباب على القبور ، لما يجشى بسببها من الشرك ، لأن الناس كانوا يأتون إلى هذه القباب التي يعظمونها ، ليطلبوا من أصحابها الشفاعة !
وكل شيء دعا إليه الشيخ ، هو من الدين ، أي بما أمر به الله ورسوله ، ولكن المسلمين نسوه أو تناسوه وأهملوه ، فقام الشيخ بدعوتهم إليه وحملهم عليه أعظم قيام . »

بركارت

« مواد لتاريخ الوهابيين »

ألف المستشرق الكبير ، بركارت ، كتاباً أسماه : « مواد لتاريخ الوهابيين » ، قال فيه :

« يمكن وصف ديانة الوهابية بأنها ديانة مطهرة « بوريتان » ، وحكومتهم بأنها حكومة « بدوية » ، يتولى زعيمها السلطة السياسية والدينية معاً ، على نحو ما كان يفعل خلفاء محمد (ص) ... »



لم تكن المبادئ التي جاء بها ابن عبد الوهاب مبادئ دين جديد ، وإنما كانت جهوده منصرفة إلى اصلاح ما فسد من معتقدات المسلمين ، وإلى إشاعة الدين بين البدو ، الذين كانوا مسلمين بالاسم ولكنهم ما كانوا يعرفون الديانة ، ولا كانوا يعملون بأوامرها .

وكان ابن عبد الوهاب - كسائر المصلحين - « غير مفهوم » ، لا من أعدائه ، ولا من أصدقائه .

أما أعداؤه فقالوا إنه صاحب دعوة جديدة ، تعتبر الأتراك ملحدين ، ولا تكرم النبي كما يكرمونه هم ، ولذلك عادوه وبدعوه ، بل كفروه .. وبما قوى الأعداء في شبهانهم ، دسائس الشريف غالب ، وتحذيرات الباشوات ..

فالشريف غالب كان حريصاً على أن تبقى بين الترك والوهابيين هوة ، وكان أخشى ما يخشاه أن يتفاوض الفريقان ويتفاهما على حسابه ...
والباشاوات كانوا يكرهون الحج ، لكثرة نفقاته ومتاعبه ، فكانوا يبالغون في وصف أعمال الوهابيين ومظالمهم ليصرفوا الناس عن الحج .

... والحق أن أعمال البدو من الوهابيين لم تكن مشجعة على الثناء عليهم ...
وصحيح أنهم تعلموا شيئاً من الدين بفضل الدعوة الوهابية ، ولكنه شيء قليل جداً لم يغير عاداتهم وعقليتهم الأولى ... وهؤلاء البدو الذين لم يعرفوا حقيقة الإسلام من قبل ، لا يستغرب منهم أن يظنوا أن الوهابية ديانة جديدة ، اختصوا بها ... وان غيروهم ليسوا من أصحاب الدين الصحيح .

لقد كان رئيسهم يغذي فيهم روح التعصب ، بحيث لا يستطيعون التمييز بين الأمور التافهة التي ليس من شأنها أن تحمل على تكفير الناس ، وبين الأمور الخطيرة .
اجتمع عدد من أهل الشام والمصريين خلال الحج بعدد من الوهابيين المتعلمين ، وتفاهموا ... واقتنع الفريقان بأنهم ، على ما بينهم من اختلافات ، مسلمون ولا يجوز أن يكفر بعضهم بعضاً ... ولكن أحداً ما كان يجرؤ على إعلان هذه الحقيقة ، بعد أن تعطل الحج منذ عام ١٨٠٣ واستحكم العداء .

وبسبب ذلك رأينا « روسو » ، في كتابين له عن الوهابية كتبها في بغداد وحلب حوالي سنة (١٨٠٨) ، يقول : إن الوهابية ديانة جديدة ، وانها أبطلت الحج إلى مكة ...

ويكفي أن يرجع الانسان الى كتب الوهابيين حتى يعرف أنهم مسلمون
سنيون !

لقد ظن « سعود » ان الناس في مكة لا يعرفون الإسلام ، فراح يوزع عليهم رسالة تلخص أركان الإسلام وأهم أوامره ونواهيه ، ثم بدا له أن يخاطب في الناس ويدرسهم ما جاء في رسالته ، وكانت دهشته عظيمة حين رأى أهل مكة يعرفون كل شيء قاله لهم ... ولذلك عاد فأمر بالكف عن توزيع رسالته !
إن الوهابيين لا يختلفون عن بقية المسلمين الا في أشياء « ثانوية » ، لانهم

متفقون معهم على أن دستورهم الأساسي هو القرآن الكريم والسنة النبوية .
ولكن الوهابيين يأخذون على الأتراك تعظيمهم للنبي بشكل يقرب من العبادة
الشخصية ، وتعظيمهم ، على هذه الصورة أيضاً ، الأولياء والصالحين .
يزعم الاتراك أن الله يقبل من محمد شفاعة .. في الدنيا وهو ميت ، لأنه
حي في قبره .. ، وهذا شيء لا يوافقهم عليه الوهابيون ،
ثم إن الاتراك يدعون النبي ويتوجهون الى الله ... وهذا أيضاً مما ينكره
الوهابيون عليهم .

.. وفي كل مدينة تركية قبر لولي أو رجل صالح تقام عليه المباني وتقدم إليه
النذور .. ويتوسل به ، وهذا أيضاً مما ينكره الوهابيون بشدة .
إن الوهابيين يهدمون القباب حيث وجدوها ... وهذه طريقة تزيد في
التعصب ، لأن هذا العمل يحمل الجلاء على الظن بأنهم يختلفون تماماً عن غيرهم ،
وأن فرق ما بينهم وما بين غيرهم .. هو تحريم هذه القباب ، وكأن الإسلام
يتلخص كله في ذلك !..

كان تهديم القباب يتبع دائماً انتصارات الوهابيين ، وهم يجدون في عملهم هذا لذة
كبيرة ، ويقولون : رحم الله من هدم القباب ، ولا رحم من بناها !
يأخذ الوهابيون على الاتراك إهمالهم الزكاة ، والجهاد ، وإقبالهم على المحرمات ،
كالخمر والزنا واللغو .. حتى أن رؤساء الترك كانوا يأتون في البلاد المقدسة نفسها
ضروباً من السفه والفسق لا توصف .. وهذا مما جعل الوهابيين يزدادون إيماناً بأنهم
وحدهم على حق وأن غيرهم على باطل !
إن إحصاء الفوارق بين الوهابيين وبين الترك هو إحصاء لجميع البدع
والتشوهات التي ادخلت على الدين الإسلامي ، منذ عهد الرسول ، وأقرها الترك
العثمانيون وارتضوها .

وليست فضيلة الوهابيين الكبرى عندي أنهم أصلحوا ما فسد من المعتقدات ،
ولكنها في حملهم الناس على العمل بالدين ، لأن الدين وحده مهياً يصلح ويظهر ،
ما كان ليغير سلوكهم في الحياة ، لولا القوة التي تحملهم على ذلك !

كتابات « خصوم الوهابية »

ألف خصوم الوهابية ، في حياة الشيخ وبعد مماته ، كتباً ورسائل كثيرة في الرد عليها ، والتشنيع بصاحبها ، وقد قرأنا ما وصلت اليه يدنا من هذه الكتابات ، ونقول في صراحة وصدق : إنها تافهة جداً ، وهي إلى السباب أقرب منها إلى المناظرة العلمية ، وقد أحسن المؤرخ التركي ، جودت باشا ، وهو من خصوم الوهابية ، بقوله إن الرد على الوهابيين ، يستوجب من الذين يتصدون له ثقافة واسعة ومعرفة بأحوال البلاد العربية ، الدينية والاجتماعية والسياسية ، ووقوفاً على علوم الدين ، وإطلاعاً واسعاً على الحركات الفلسفية ، ومقدرة على الجدل والإقناع ، وأسلوباً بارعاً في الكتابة ، وكل أولئك مفقود عند « العلماء » الذين قاموا بردون على الوهابية ردوداً مشحونة بالسفخ والمراء ، ويقدمون اليها بأيديهم الوسيلة إلى السخر منهم ومحاربتهم بسلاحهم !

على اننا مدعوون ، ونحن نؤرخ للوهابية ، إلى الكلام على كتابات خصومها ، حتى لا يكون بحثنا منقوصاً من بعض جوانبه .

الكتب المخطوطة والنادرة في الرد على الوهابية

هناك كتب مخطوطة كثيرة ، لم تطبع ، وكتب أخرى نادرة ، منها :

١٧ - حجة فصل الخطاب من كتاب رب الارباب وحديث رسول الملك الوهاب وكلام أولي الألباب في إبطال مذهب محمد بن عبد الوهاب - للشيخ

سليمان بن عبد الوهاب .

٢ - تهكم المقلدين بمن ادعى تجديد الدين - للشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن عفالق.

٣ - المشكاة المضيئة - لعلي بن عبدالله البغدادي .

وهذه الكتب الثلاثة مخطوطة ، وهي محفوظة في مكتبة برلين ولم نطلع عليها . وقد ذكر الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه « كشف غيباب الظلام » كتابين ، لم نطلع على أصليهما ومما :

٤ - الصواعق والرمود - لعبدالله بن داود .

٥ - سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد - للشيخ عبدالله بن عبد اللطيف . ومن أوائل الدين ردوا على الوهابية الشيخ أحمد القباني من العراق ، وكانوا يسمونه : ابن ملاعبادي . وله ثلاث رسائل ، نشرها في حياة الشيخ ، وهي : (١)

٦ - « فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب »

٧ - « كشف الشبهات عن خالق الارض والسموات » .

٨ - « كشف الحجاب عن ضلالات ابن عبد الوهاب » .

وهذه الرسالة الأخيرة تكاد تكون قاصرة على التعريف برسالة « سليمان بن سحيم » ومطالبة كل من وقعت في يده أن ينشرها بين الناس ! وقد أثبت ابن غنام في تاريخه نص هذه الرسالة .

٩ - وللشيخ سليمان بن عبد الوهاب كتاب طبع منذ ثمانين سنة في العراق وعنوانه : « الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية » .

١ - قال الشيخ ، في رسالته الى احمد بن ابراهيم : « ... وايضاً جاءنا بعض المجلد الذي صنفه القبانى ، واستكتبه اهل الحسا واهل نجد ، وفيه نقل الاجماع على تحسين قبة الكواز وامثالها ، وعبادتها ... الخ ... » انظر صفحة ٣٨٨ - ٣٨٩ من تاريخ نجد الممدل »

كتاب « الصواعق الآلهية في الرد على الوهابية »

بعد هذا الكتاب من أقل الكتب التي ألفها خصوم الشيخ فجوراً ومغالطة ، ولولا أنه قال عن الشيخ محمد إنه لا يملك الاجتهاد وليس فيه خصلة واحدة من خصاله لكان كتابه بريئاً من هجر القول .

وبما جاء في هذا الكتاب :

« بني الإسلام على خمس » ...

وشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، تدخل الكافر في الإسلام .. وأنتم الآن تكفرون من قال لا إله الا الله ومحمد رسول الله . وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصيام رمضان وحج البيت مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ملتزماً لجميع شعائر الاسلام ، وتجعلونهم كفاراً وبلادهم بلاد حرب .

فنحن نسألکم : من إمامكم في ذلك ، ومن أخذتم هذا المذهب عنه ؟ فإن قلتم : كفرناهم لأنهم مشركون بالله ..

.. قلنا : أهل العلم قالوا في تفسير أشرك بالله ، أي ادعى أن الله شريكاً ، كقول المشركين : هؤلاء شركاؤنا !

.. إن الشرك فيه كبيرة وصغيرة ، وأكبر وأصغر .. وفيه ما يخرج من الإسلام وفيه ما لا يخرج من الإسلام ..

ولكن من أين لكم أن المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، إذا دعا غائباً أو ميتاً أو نذر له .. أو تمسح بقبره .. أن هذا هو الشرك الأكبر .. من فعله .. حل ماله ودمه ؟

.. إن أهل العلم ذكروا في كل مذهب من المذاهب الأقوال والأفعال التي يكون المسلم بها مرتدّاً ، ولم يقولوا من نذر لغير الله فهو مرتد .. ولم يقولوا من تمسح بالقبور .. فهو مرتد ..

ولكنكم أخذتم هذا بفاهيمكم وقلتم من فعل هذه الأفاعيل فهو كافر ومن لم يكفره فهو كافر ! ،

ثم يتكلم الشيخ سليمان عن النذر لقبر صحابي ، فيقول إن « ابن تيمية » عده نذر معصية ، لا يجوز الوفاء به ، والواجب عليه أن يتصدق ، ولو كان صاحب النذر يكفر ، لم يأمره بالصدقة وإنما كان يأمره بتجديد إسلامه . وكذلك ابن القيم ذكر النذر لله في الشرك الأصغر .

وبعض الشيخ سليمان بعد ذلك قائلاً :

ذكر عن ابن تيمية انه قال (في الإقناع) من جعل بينه وبين الله وسائط ، يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعاً ..

.. أنظر الى لفظ هذه العبارة وهو قوله : « يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم ، كيف جاء بواو العطف ، وقرن بين الدعاء والتوكل والسؤال ، فان الدعاء في لغة العرب هو العبادة المطلقة ، والتوكل عمل القلب ، والسؤال هو الطلب الذي تسمونه الآن الدعاء .. وهو لم يقل هنا : « سألمهم » .. بل جمع بين الدعاء والتوكل والسؤال . و .. أنتم تكفرون بالسؤال وحده ، !

ويتحدث الشيخ سليمان بعد ذلك عن أهل البدع الموافقين على أصل الإسلام ، ولكنهم يختلفون في بعض الأمور ، كالأحارج والرافضة والمعتزلة ، فيأخذ آراء « ابن تيمية » فيهم على النحو الآتي :

هؤلاء أقسام :

أحدها الجاهل المقلد الذي لا بصيرة له ، فهو لا يكفر ولا يفسق ولا ترد شهادته إذا لم يكن قادراً على تعلم الهدى ، وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان .

والقسم الثاني : متمكن من السؤال وطلب الهداية ومعرفة الحق ولكن يترك ذلك اشتغالاً بدنياء ورياسته ولذاته ومعاشه ، فهذا مفرط مستحق للوعيد ...

القسم الثالث : أن يسأل ويتبين الهدى ولكن يتركه ، تعصياً أو معاداة لأصحابه ، فهذا أقل درجاته أن يكون فاسقاً ، وتكفيره محل اجتihad .

كتاب علوي الحداد

وضع « علوي الحداد » ، كتاباً في ذم الوهابية ، اعتمد فيه على « عبد الله بن داود الحبلي البغدادي » ، في كتابه : « الصواعق والرمود » . ولم نطالع هذا الكتاب ، ولكننا قرأنا تنقلاً منه في كتاب ابن سحمان المسمى : « الألسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد . » .

ينسب ابن داود الى الشيخ أنه كان يضمّر دعوى النبوة ، وتظهر عليه قرائنها بلسان الحال ، لا بلسان المقال ، حتى لا تنفر عنه الناس .

قال : « ويشهد لذلك ما ذكره العلماء من أن ابن عبد الوهاب كان في أول أمره مولعاً بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذباً ، كمسيلمة وسجاح والأسود الغنسي وطلحة الأسدي وأضرابهم .

.. وأن أباه عبد الوهاب كان رجلاً صالحاً ، وأنه نفرس في ولده الشقاوة من حين صباه ، وكان يبغيه بغضاً شديداً ، ويقول : سيظهر منه فساد عظيم !
وبضيف علوي إلى ذلك ، أن الشيخ كان يتنقص النبي (ص) ، بعبارات مختلفة منها : انه طارش ..

.. ومنها قوله : إني نظرت في قصة الحديبية ، فوجدت فيها كذا وكذا وكذا .. وكان بعض أتباعه يقول : عصاي خير من محمد ، لأنها ينتفع بها ، بقتل لحية ونحوها ، ومحمد قد مات ، ولم يبق فيه نفع أصلاً .
وإذا أراد رجل أن يدخل دينه ، يقول له :

« أشهد على نفسك أنك كنت كافراً واشهد على والدك أنها مائة كافرين واشهد على العالم الفلاني والفلاني .. أنهم كفار وهمكذا .. فإن شهد بذلك قبله ، وإلا قتله .. »

« الأقوال المرضية في الرد على الوهابية »

وضع الشيخ محمد عطا الكسم ، رسالة سماها : « الأقوال المرضية في الرد على

الوهابية ، طبع في مصر عام ١٩٠١ هـ . وقد قرأناها فوجدناها تافهة جداً ، ولعل صاحبها إنما كتبها في أول شبابه ، وما نظنه إلا أنكرها في كهولته ، وهذا بعض ما جاء فيها :

« أخبرني بعض الإخوان أنه قد اجتمع برجل من الوهابية ، يوسوس لاهل السنة الحمديدية ، بتحريم التوسل بخير البرية ، عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التعية .. »
.. « ولكن من فرط المحبة لهذا الم محبوب ، الذي هو صفوة علام الغيوب ، الآخذ باليد وقت الشدائد والخطوب ، انعطف القلم قبل الشروع بالمقصود .. » .
وقد عـدد مؤلف الرسالة أحاديث مختلفة تدل في رأيه على جواز التوسل ، كما استشهد بالآية الكريمة التالية :

« ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله تواباً رحيماً » .

ثم قال : إن التوسل بالنبي جائز في حياته وفي مماته ، لأنه حي في قبره ، (١) .

كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام

وهي رسالة يرد فيها ابن سحمان على أقوال أحمد باشا الأعظمي عن الوهابية ، ولم نقف على أصل كتاب الأعظمي ، وبما نقله ابن سحمان عنه قوله :

« كان الناس في اضطراب وتردد من حقيقة مذهب الوهابية ومقولاتهم بسبب ما كانوا يستترون به من مظاهر التوحيد وادعاء التمسك بالكتاب والسنة حتى طغوا وبغوا وتغلبوا على الحجاز ، وناظرهم العلماء فكشف الله الستار عنهم وسلط عليهم إبراهيم باشا فكاد يفنيهم ويقطع دابرهم ، لكن الله إرادة في بقاء جرثومة من هذه الطائفة في بلاد نجد . وقد تصدى لتحرير مذهبهم وتقرير مقولاتهم والرد عليهم جمهور من علماء الحجاز ، منهم أحمد بن زين ، الملقب بدحلان ، ... »

١ - رد الشيخ سليمان بن سحمان على الكسم برسالة اسمها « النصوات المرسلة للشهابية على الشبه الداحضة الشامية » .

الفجر الصادق في الرد على منكري التوصل والكرامات والخوارق

وضع الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي ، كتاباً أسماه : « الفجر الصادق في الرد على مفكري التوصل والكرامات والخوارق » ، طبع في القاهرة (١٣٢٣ هـ) .
وقد رد عليه ابن سحمان رداً موفقاً في كتابه المسمى : « الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق » .

.. وبما قاله الزهاوي :

« الوهابية فرقة منسوبة الى محمد بن عبد الوهاب ، وابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب كان سنة ١١٤٣ هـ . وإنما اشتهر أمره بعد الحسين ، فأظهر عقيدته الزائفة في نجد ، وساعده على إظهارها محمد بن سعود ، أمير الدرعية ، بلاد مسيلة الكذاب ، مجبراً أهلها على متابعة ابن عبد الوهاب هذا ، فتابعوه ، وما زال يتخذه له في هذا الأمر حامي بعد حامي من أحياء العرب حتى تمت فتنته وكبرت شهرته واستفحل أمره فخافه البادية ، وكان يقول للناس : ما أدعوكم إلا إلى التوحيد وترك الشرك بالله تعالى في عبادته .

وكانوا يمشون خلفه حينما مشى ، حتى اتسع له الملك » .

جودت باشا

بعد « جودت باشا » في مقدمة المؤرخين الاتراك ، وكان من كبار الموظفين ، وله اطلاع واسع على الوثائق والتقارير والفرمانات والرسائل السياسية ، المتصلة بتاريخ نجد ، ولكنه لم يسلم من التعصب والحقن ، فأساء الى عمله ، فمشیاً منه مع سياسة حكومته ، ومع هذا لا يخلو كتابه من كلمات حق ، وأخبار صدق .

طبع كتابه في استانبول عام ١٢٩٢ هـ ، ، ولقي رواجاً كبيراً ، واخذ عنه كثير من المؤرخين في الشرق والغرب ، وبما قاله :

« أساس العقيدة الوهابية التوجه الى الله مباشرة ، فلا يجوز التوصل اليه بأحد غيره ، ولا دعاء أحد ، ولا الاستغاثة بأحد ، والنذر للاولياء وطلب الشفاعة منهم ،

هما عند مؤسس الوهابية ، من الشرك .

وبما أن الناس كلهم كانوا يفعلون ذلك ، فهم في نظره مشركون ، كلهم .
كان أهل نجد ، منذ ستمائة سنة ، في جهل وضلال لا يعرفون من الاسلام سوى اسمه ، ولما دعاهم الشيخ محمد الى مذهبه قبلوه ، لانهم لم يكن لهم دين يتمسكون به ، ولم يعرفوا ان مذهبه يخالف المذهب الحنبلي الذي ينتسبون اليه ، شكلاً ، وبما رغبهم في المذهب الجديد أن صاحبه أحلّ لهم دم المسلمين ومالههم ، وكانوا قوماً يتعشقون الغزو والسلب ، فخرجوا يريدون ، في الظاهر ، احياء دين الله ، وهم يريدون ، في الحقيقة ، عرض الحياة الدنيا .

أخذ الشيخ مذهبه عن ابن تيمية ، وابن القيم ، وكان هذان الشيخان من غلاة الحنابلة ، وقد اسرفا في الانكار على الناس حتى اضطرت الدولة الى حبسها .
وبما قاله ابن تيمية في تبرير تشدده في مسألة البناء على القبور والنذور لها وطلب الشفاعة من أصحابها ، ان الانبياء والاولياء لم يعبدوا احد في حياتهم ، ولكنهم عبدوا بعد موتهم ، بسبب هذه القبور التي يعكف عليها اتباعهم ، ولذلك وجب على المؤمنين إزالتها ، حتى لا تكون وسيلة الى الشرك .

وكان ابن تيمية يقول : خير لمن ينذر الطعام للقبور ، ان يتصدق به على الفقراء ، وخير لمن يرسل قنديلاً الى الروضة ان يوزع ثمنه على الفقراء الذين يعيشون في جوار الروضة .

وخلاصة القول ان ابن تيمية ابتعد بأرائه الشاذة عن جمهور المسلمين ا .

أيوب صبري

ومن حمل على الوهابية من مؤلفي الأتراك القدامى : ايوب صبري ، مؤلف « مرآة الحرمين » ، فقد وضع كتاباً اسماه « تاريخ الوهابية » ، طبع عام ١٢٩٦ هـ .
في استانبول ، ملأه بالكذب والافتراء ، وبدأه بقوله : ان اصول الوهابيين ترجع الى القرامطة ، الذين كانوا يقولون ، فيما يزعم : « الصلاة هي ان تطيع الامام المعصوم ، والزكاة ان تؤدي خمس مالك اليه .

وكانوا يقولون في شهادتهم : اشهد ان محمد بن الحنفية رسول الله ، .
وأعظم ما يأخذه هذا المؤرخ السخيف على الوهابية محاربتها لكتاب « دلائل
الخيرات » .
فتأمل !..

كتب مختلفة

نشرت كتب كثيرة ، غير التي ذكرناها ، في انتقاد الوهابية ، ونحن إنما
أشرنا إلى عدد منها ، لقدمه أو شهرته ، وهناك رسائل كثيرة تافهة ، لا تستحق
حتى الإشارة إليها .

وصف الشيخ وعظمته

يقول المؤرخ الفرنسي مانجان :

« كان الشيخ يحسن فن الاقناع ، وكان بأسر القلوب بخلاصة بيانه وحلاوة لسانه ، وكان صابراً محتسباً ، يتق بالله تعالى فلا يهن ولا يجزع قط .

وكان سياسياً من الطراز الأول ، ولولا ذلك لانهارت دعوته وزالت دولته . ومع كل كماله الخلقي ، يقول الشيخ عن نفسه في بعض رسائله : وأنا امرؤ في بعض الحدة ..

وهي حدة لا تبطل حقاً ولا تثبت باطلاً ، ولا تخرج بصاحبها عن الجادة .

جمال في الجسم وكال في العقل

ويقول ندوة مطران ، رواية عن الجرجيري :

« كان الشيخ قوي البنية ، جميل المنظر ، شجاعاً ، صبوراً على الشدائد ، له فكر نفاذ ، يحسن الكلام ويحسن الاصغاء .

وكانت له قدرة عجيبة على استيعاب الأمور ، وتجربة مستنيرة يستعين بها على حل المضلات .

فكر ، وخلق ، وعزم

ويقول بلغريف :

« كان ينبغي لمن يتصدى لتطهير الدين من البدع التي أدخلت عليه ، خلال عصور طويلة جداً ، أن يكون صاحب فكر نير ، وخلق خير ، وعلم واسع ، وعزم كالحديد .. »

وكان محمد بن عبد الوهاب يملك كل أولئك ، .

فضل الشيخ وعظمته

ويقول محب الدين الخطيب :

« كان رجلاً عظيماً ، لأنه ثبت في جهاده الى ان لقي ربه ، فعول الله تلك الأوطان العربية على يده وبطريقته من أخلاق الجاهلية وأطوارها إلى أمة تقم الصلاة ساعة الدعوة اليها ، وتؤتي الزكاة عند استحقاقها ، ولا يشهد رمضات فيها ما يشاهد في بلاد أخرى من الفضائح ، ويججون بقلوب لا متع فيها لغير الايمان بالله ، وكل رجل منهم عنده كفته مجمله مع صلاحه إذا ناداه الإمام للجهاد . ان تحويل هذه الأمة بما كانت عليه إلى ما صارت اليه ليس من الأمور السهلة ، وأنا كلما تصورت في ذهني عظمة ابن عبد الوهاب يتضاءل في نظري كثير من الشخصيات .. »

في ابن بشر

يقول ابن بشر :

« كان الشيخ .. كثير الذكر لله ، قل ما يفتقر لسانه من قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله الأكبر . وكان اذا جلس الناس ينتظرونه ، يعلمون اقباله اليهم قبل أن يروه ، من كثرة لهجه بالتيسيع والتحميد والتهليل والتكبير . »

وكان عطاؤه عطاء من وثق بالله ، لا يخشى الفقر ، بحيث أنه كان يهب الزكاة والغنيمة في موضع واحد ، لا يقوم ومعه منها شيء ، ويتحمل الدين الكثير لاضافة وسائله والوافدين عليه .

وعليه الهبة العظيمة التي ما سمعنا بها انفقت لغيره من العلماء والرؤساء وغيرهم ، وهذا شيء وضعه الله في القلوب ، والا فما علمنا أحدا ألين ولا أخفض جنابا لطالب علم أو سائل أو ذي حاجة أو مقتبس فائدة .

وكان له مجالس عديدة في التدريس كل يوم وكل وقت ، في التوحيد والتفسير والفقه وغيرها .

في ابن غنام

ويقول ابن غنام :

« .. كانت حاله من العبادة في الصلاة والصيام مشهورة ..

لا يزال القرآن سميره في دجى الظلام ، ودأبه أحياء غالب الليل بالقيام .

« .. إليه بيت المال يجبى ويدفع .. من جميع بلدان المسلمين ، ويفرقه عليهم أجمعين ، وكان على حالة رضية وطريقة من الزهد مرضية ، وكان عن ذلك المال متكفلا .. ولا يأكل منه الا بالمعروف ..

وكان سمعا جوادا كريما .. وكان لا يرد السؤال ، اما أثاب عاجلا أو بعد حال ..

وتوفي رحمه الله ولم يخلف دينارا ولا درهما ، فلم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم ، بل كان عليه دين كثير ، فأوفى الله عنه الجليل والحقير . »

مهفة الشيخ .. ودرة عمر

ويقال ان الشيخ كان يجمع مهفة في يده ، أتى على ذكرها الشيخ محمد بن

أحمد الحفظي ، في قصيدة يثني فيها على الشيخ ، قال :

دعنا الى الله وبالتهليله	يصرخ بين أظهر القبيلة
مستضعفا وماله مناصر	ولا له معاون مؤازر
في ذلة وقلة وفي يده	مهفة تغنيه عن مهنده
قد أذكرني ذرة لعمر	وضرب موسى بعصاه الحجر،

كتب الشيخ ورسائله وأجوبته وخطبه

أول كتاب ألفه الشيخ ، وكان « نقطة الانطلاق » ، أو « المنهاج » ، لحركته ، هو كتاب صغير ، يكاد يكون « رؤوس أقلام » ، أسماء : « كتاب التوحيد » . ثم ألف الشيخ كتباً غيره .

ولكن الشيخ لم يغير حالة نجد بكتاب التوحيد ، ولا بكتاب آخر من تأليفه ، وإنما غيرها بدعوته الموصولة الى التوحيد ونفيه عن الشرك ومكافحته للمنكرات ، وقيامه في ذلك قياماً عظيماً .

قد يقال إن « نظرية » التوحيد ، كما قررها الشيخ ، لا تختلف عن « نظرية » التوحيد في ابن تيمية ، وإن الشيخ لو لم يضع كتاب التوحيد واكتفى بالدفاع عن أفكار ابن تيمية في رسائله وأحاديثه وأعماله ، لما غير ذلك شيئاً كثيراً في انتشار حركته وأثرها في الناس ..

وربما كان هذا القول غير بعيد عن الحق ، لأن عظمة الشيخ ليست في كتبه وحدها ، ولكنها في شخصيته وأعماله فقد كان زعيماً ومصلحاً ومجاهداً ومحامياً عن الحق ، وقبل كل شيء : داعياً الى الله ، فمن قال إن كتبه لا تمثل جهداً علمياً أو فنياً كبيراً ، لا يستطيع أن يتنقص من قدره ، مع أن الكتب لا تقدر قيمها مجتمها ووزنها !..

لم يكتب الشيخ بتأليف الكتب - ومنذ كر فيها بعد أسماء جملة من كتبه -

ولكنه كان يكتب الرسائل ويلقي الخطب ويعقد المجالس ويتحدث للناس في العقيدة والفقه والسياسة والادارة وأحوال المجتمع ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويعنى بالوفود وطلاب العلم وحاجات المجاهدين ، ويكتب البلاد القريبة والبعيدة ، الى غير ذلك من شؤون الحياة العامة التي تشغل أكثر وقته ، وزعيم تحف به المسائل والمشاكل ، من كل جهة ، لا يجد متسعاً من الوقت لتأليف الكتب المستفيضة ، لذلك كانت رسائله أكثر من كتبه ، وأحاديثه أكثر من رسائله ، وكان في كتبه يميل في الغالب إلى الاختصار .

وقد يكون أسلوب ابن تيمية أوضح أثراً في رسائل الشيخ منه في « كتاب التوحيد » ، وفي سائر كتبه .

أسماء مكتب الشيخ

أول كتاب ألفه الشيخ ، هو :

١ - كتاب التوحيد

قدم له بآيات وأحاديث في تبيان التوحيد وفضائل شهادة أن لا إله إلا الله ثم بين أنواعاً كثيرة من الشرك والمنكر ، وهذا الكتاب له شروح ، منها شرح الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ واسمه : فتح المجيد .

٢ - كتاب الأصول الثلاثة .

٣ - كتاب « المسائل التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية » وهو رؤوس أقلام ، شرحه الألوسي ، ويحتاج الى من يتبسط في شرحه بأسلوب علمي عصري ، ان أمكن .

٤ - كتاب كشف الشبهات .

٥ - كتاب مجموع الحديث على ابواب الفقه .

٦ - أصول الايمان .

٧ - فضل الاسلام .

٨ - كتاب الكبائر .

٩ - نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين .

وهذه الكتب الأربعة (٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) ظهرت في مجموعة الحديث النجدية ، ونحدث عنها الشيخ رشيد رضا في مقدمته على المجموعة فقال ان الشيخ محمد بن عبد الرهاب راعى في جمعها أحوج ما يحتاج اليه جماهير المسلمين من السنة ، مع تلقيهم أحكام العبادات والمعاملات من كتب الفقه . وهو أربعة أقسام :

أ - أحاديث الايمان الاعتقادية .

ب - أصول الاسلام الكلية .

ج - كبائر الاثم والفواحش التي يجب تركها .

د - الآداب الشرعية التي يجب أو يستحب فعلها والتأدب بها وكلها ملخصة من دواوين السنة المشهورة ، كالكتب الستة والمسند والموطأ وغيرها .

ومنها ما ليس لدينا نسخ منه ، كالسنن الكبرى وشعب الايمان للبيهقي .

وقد ترك رحمه الله بعض الأحاديث غير مخرجة ، ولعل سبب ذلك أنه أراد أن يراجعها في غير الكتب التي نقلها منها ، ليبين جميع من خرجوها .

١٠ - كتاب آداب المشي الى الصلاة .

١١ - مختصر الشرح الكبير والانصاف .

١٢ - كتاب السيرة المختصرة .

١٣ - كتاب السيرة المطولة .

١٤ - كتاب مختصر الهدى النبوي .

وللشيخ فوق ذلك تفاسير كثيرة للقرآن الكريم أورد ابن غنام ، في تاريخه طائفة منها ، وله رسائل رائعة ، وأجوبة على المسائل ، وخطب ، تجدها في كتاب ابن غنام وفي المجموعة النجدية .

أشهر كتابات الشيخ: كتاب التوحيد، والأصول الثلاثة، وكشف الشبهات، وآداب المشي الى الصلاة ، وهي تدرس في المدارس السعودية .

خطب الشيخ

خطب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في جملتها ، مختصرة ، ولا يدعو فيها
للحطان العثماني ، ولا لأمير نجد وإمام المسلمين فيها ، ويكثر فيها التروغيب في الجنة
والتحذير من النار ، والحث على الاقتداء بالسلف الصالح كقوله :
« إعلموا أن الخير كله بمحذافيره في الجنة ، فأدجلوا في السير إليها . والشر كله
بمحذافيره في النار ، فاجتهدوا في الهرب منها . ألا وإن الدنيا عرض حاصر ،
ياكل منها البر والفاجر .. والآخرة وعد صادق .. » الخ ..

وكقوله :

« وعليكم بما كان عليه السلف الصالح والجماعة ، فخذوا بهديهم وما كانوا عليه في
المعتقد والعمل ، والسمت والطاعة » .

شيُوخ دَعُوا إِلَى التَّوْحِيدِ الْمَطْلُوقِ قَبْلَ الْإِيمَانِ

يقول « صلاح العقاد »، إن الشيخ عثمان بن أحمد النجدي ، سبق الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعوة إلى التوحيد ومكافحة الشرك ، في نجد ، والشيخ عثمان هذا كان تلميذ ابن العماد الدمشقي ، وقد ألف « كتاب التوحيد » ، المنتخب من فتح الباري لابن حجر ، مخطوط في القاهرة . وله كتاب آخر مفقود الآن ، اسمه : « نجاة الخلف في اعتقاد السلف » ، والعنوان نفسه ذو دلالة كافية !

وكانت وفاة الشيخ عثمان عام ١٠٩٦ هـ .

وعندنا أن الشيخ عثمان يشبه القائلين بوحداية الله قبيل النبي محمد (ص) الذين لم يكن لهم جهد يذكر في سبيل الدفاع عن فكرة الوجدانية ونشرها بين الناس .. وعند قيام الشيخ بدعوته في نجد أو قبل ذلك قليلاً، ظهر في اليمن عالم جليل : هو الأمير اسماعيل الصنعاني ، كان يدرس في مسجد صنعاء ، وألف كتاب « تطهير الاعتقاد » ، ولا تختلف آراؤه في التوحيد ومكافحة الشرك ، المتجسلي في تقديس الأشجار والأضرحة ونحو ذلك ، عن آراء ابن عبد الوهاب .

ويقول ابن بشر إن الأمير الصنعاني لما بلغه ظهور الشيخ وما دعا إليه ، كتب إليه قصيدة يمدحه فيها ، ومطلعها :

« سلامي على نجد ومن حل في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

ومن ابياتها :

« قلمي واسألني عن عالمٍ حلّ سوحها به يمتدي من خل عن منهج الرشد
« محمد ، الهادي لسنة « أحمد » ، فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي !
لقد أنكرت كل الطوائف قوله ، بلا صدّري في الحق منهم ولا وردا !

*

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه بعيد لنا الشرع الشريف بما يدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل ومبتدع منه ، فوافق ما عندي !

*

لقد سرّني ما جاءني من طريقه وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي !
ويزعم بعضهم أن الصنعاني رجع ، بعد ذلك ، عن تأييد الشيخ ، لما رأى من شدته
على كل من لا يقول بقوله ، وأنشأ قصيدة يقول فيها :

« رجعت عن القول الذي قلت في النجدي فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي ،

ولكن هذا الزعم غير صحيح ، ولعل البيت بما وضعه الوضاعون ، ذلك أن
تلميذ الصنعاني وخليفته : وهو الامام محمد بن علي الشوكاني الزبيدي ، مؤلف
كتاب : « نيل الأوطار » ، كان محباً للشيخ ، ولما بلغته وفاته قال في رثائه قصيدة
كلها إعجاب وتقدير ، وبما جاء فيها :

« لقد أشرفت نجد بنور ضيائه وقام مقامات الهدى بالدلائل
فلولاه لم تبرز رحى الدين مركزاً ، ولا اشتد للإسلام ركنُ المعازل
ولا كان للتوحيد واضح لاحبٌ يقيم اعوجاج السير من كل عادل
فما هو إلا قائم في زمانه مقام نبي في إمانة باطل ،

وهناك من يقول ان عبد الله بن ابراهيم ومحمد حياة السندي وغيرهما من علماء
مكة كانوا سلفيين يدعون الى التوحيد ومكافحة الشرك ، في رفق ، وقد حضر
الشيخ بعض دروسهم وأفاد منها .

أُسْمَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ

نعني بأئمة الشيخ ، كبار العلماء الذين كان لهم أثر عميق في تكوين طريقته في الدين والسياسة الشرعية ، بعد النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم .

ابن حنبل

أول هؤلاء العلماء ، بالطبع ، الإمام ابن حنبل ، مؤسس المذهب الحنبلي ، الذي نشأ عليه الشيخ وقام بنصرته أعظم قيام ، وكان الشيخ شديد الإعجاب بابن حنبل ، وكان يتمثل كثيراً بهذه الأبيات :

بأي لسان أشكر الله أنه لدو نعمة قد أعجزت كل شاكر
حباني بالاسلام فضلاً ونعمة علي ، وبالقرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى : اعتقاد ابن حنبل عليها اعتقادي ، يوم كشف الرائر
وابن حنبل ، هو : أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ، من بني شيان ،
من ربيعة ، ولد في بغداد عام ١٦٤ هـ . ومات فيها عام ٢٤١ هـ .

وقيل انه ولد في مرو ، حيث كان أبوه جندياً مرابطاً ، وجاءت به أمه
الى بغداد وليداً ، فعاش فيها واستفاضت شهرته ، ولكنه لم يكتب بعلم فقهاء

بغداد ، وانما رحل الى الأمصار ، كالكوكة والبصرة والجزيرة والشام ومكة والمدينة .

جاء عنه في تاريخ بغداد ، لابن الخطيب :
« قال قتبية : لولا الثوري لمات الورع ، ولولا أحمد بن حنبل لأحدثوا في الدين .

وقال علي بن المديني : ان الله أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث : أبو بكر الصديق يوم الردة ، وأحمد بن حنبل يوم الهنة .

.. وروي عن الشافعي انه قال : خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أتقى ولا أروع ولا أفقه – وأظنه قال ولا أعلم – من ابن حنبل .
قل ان أحمد بن حنبل كان يحفظ مليون حديث .

وقيل : ان أحمد بن حنبل محنة ، به يعرف المسلم من الزنديق ..
.. وحزر من حضر جنازته من الرجال : (٨٠٠) ألف ، ومن النساء (٦٠) ألفاً .

وفي كتاب « أعلام المحدثين » لمحمد أبو شبة :
« كان أحد الأئمة المشهورين ، الذين ضربوا بسهم راجع في باب الفقه والاجتهاد ، وخالف بعضهم في عدة من الفقهاء واعتبروه من كبار المحدثين ، وقال ابن جرير الطبري : « انه رجل حديث لا رجل فقه » .

كان يتشدد في قبول أحاديث الأحكام ، ويتساهل في قبول أحاديث الفضائل .
أشهر كتبه : كتاب المسند ، فيه أحاديث صحيحة كثيرة توازي أحاديث البخاري ومسلم ، وفيه ، عدا الصحيح : الحسن والضعيف والمنكر ، بل والموضوع – على ندرة جداً .

والقول بأن مسند أحمد كله صحيح قول عار عن التحقيق ..
قال ابن كثير : « ان فيه أحاديث ضعيفة بل وموضوعة ، كأحاديث فضائل عسقلان ومرو والبرث الأحمر عند حمص وغير ذلك .. »
وقد ضعف الامام أحمد نفسه أحاديث فيه ، كحديث عمن عائشة أن عبد

الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا ..
وجاء بعض تلامذته وزادوا على مسنده أيضاً زيادات اندست فيه ..
ويقول الامام ابن تيمية انه ليس في المسند « موضوع » بمعنى مختلق مصنوع
يتعمد صاحبه الكذب ، فأحمد لا يروي ممن يعرف أنه يكذب ، ولكن يروي
ممن يضعف لسوء حفظه ، وان كان صاحبه لم يتعمد الكذب بل أخطأ فيه ، وهذا
الضرب في المسند منه . »

ويقول « لاوست » في دائرة المعارف الاسلامية :
« رفض ابن حنبل فكرة أن القرآن مخلوق ، فاضطهده الخليفة « المأمون »
كثيراً وحبسه ..

وفي عهد « المعتصم » جلدوه ، ثم أطلقوه واعتزل التدريس ..
وفي عهد « الواثق » حاول الظهور ، ثم اختفى ..
وفي عهد « المتوكل » ، نصير السنة ، عام ٢٣٢ هـ . ، سمح لابن حنبل
باستئناف دروسه ، واختاره الخليفة ، في جماعة من العلماء ، للرد على الجهمية
والمعتزلة .

ومن الخطأ النظر الى ابن حنبل كجامع أحاديث فقط ، فهو « مجتهد مستقل » ،
كما وصفه ابن تيمية ، حين قال عنه : انه اختار لنفسه من هذا العدد الكبير من
الأحاديث والأقوال ما هو الأمثل .

دافع ابن حنبل عن العرب ، ودعا الى حبهم ، لأن حب الرسول يوجب حب
قومه ، والذين يكرهون العرب هم المنافقون ..
وكان يدعو الى الطاعة والجماعة ويشجب الفتنة ،
وقد سمح لامام المسلمين بتقرير ما يجب عمله وفقا للمصلحة والسياسة الشرعية ،
وقد توسع في ذلك ابن تيمية وابن القيم الجوزية . »

ابن تيمية

لا ضرورة للتوسع في الكلام عن أثر ابن تيمية في فكر الشيخ وأسلوبه ،
فذلك شيء واضح يعرفه كل واحد ، وكان الشيخ يحب ابن تيمية ويحله كثيراً
ويطلب كتبه وأقواله في كل مكان ، وربما نسخها بخط يده ، ويقال انه طلب من
الامام الصنعاني في اليمن ، عام (١١٨٠) كتباً لابن تيمية وابن القيم كانت عنده .

وابن تيمية هو :

تقي الدين ، أبو العباس : أحمد بن عبد الحلیم بن عبد الله النميري الحراfi .
ولد في بلدة « حران » بأرض الشام عام ٦٦١ هـ . وانتقلت به أسرته الى
دمشق ، وهو ابن ست سنين ، فعاش فيها ، ثم مات في قلعتها في ذي القعدة من
سنة ٧٢٨ هـ . فكانت سنه عند وفاته سبعاً وستين سنة .

وخرجه - وهو الذي كافح الصوفية ولقدیس القبور - بين مقابر الصوفية ، في
دمشق يزار .

يقول « فيليب حتي » في كتابه : « تاريخ سورية » ان ابن تيمية ظهر في عصر
اشتدت فيه نقمة المسلمين على النصارى ، بسبب تأييد بعض النصارى للصليبيين ،
خاصة في انطاكية ، وان مؤلفاته تخر بروح العصر الرجعية .

وقد يكون هذا الحكم ، من « وريخ عرف بسعة اطلاعه وانصافه ، قاسياً جداً ،
فابن تيمية إنما أبغضه الجاهل والمتعصبون من المسلمين ، لا من المسيحيين .
وقد يكون السبب الذي دعا مؤرخنا الكبير إلى هذا الحكم القاسي كتاب

ابن تيمية المسمى : « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » ، وهو كتاب يدعّر فيه المسلمين الى عدم تقليد أهل الكتاب والفرس في أعيادهم ونحوها ؛ ولكن حركة ابن تيمية الكبرى إنما قامت على الدعوة الى التوحيد ومكافحة الشرك والبدع والجهل ، حيثما كانت ، والجهال والمنعصبة من المسلمين كانوا هدفاً لحملات ابن تيمية ، أكثر من المسيحيين !

نقل الشيخ محمد حامد الفقي في مقدمته على كتاب الاقتضاء المذكور ، لابن تيمية ، طائفة بما قاله فيه بعض العلماء ، نكتطف منها هذه الفقرات :

« قال بعض أصحابه :

نشأ في حجبور العلماء .. ودوحات الكتب .. لا يلوي الى غير المطالعة والاشتغال بمعالى الأمور ..

سلفياً متألهاً عن الدنيا ، صيناً تقياً ، برأ بأمه ، ورعاً عفيفاً ، عابداً ناسكاً ، صواماً قواماً ..

لا تكاد نفسه تشبع من العلم ..

وقلّ أن يدخل في علم من العلوم من باب إلا ويفتح له من ذلك الباب أبواب ، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذاق أهله .

وقال الشيخ عبد الهادى :

لم يبرح شيخنا في ازدياد من العلوم ، وبث العلم ونشره ، والاجتهاد في سبل الخير ، حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل ، والشجاعة والكرم .. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسائر أنواع الجهاد ..

.. وكان رحم الله سيفاً مسلولاً على المخالفين ، وشجى في حلوق أهل الأهواء المبتدعين ..

وقال الحافظ المزي :

ما رأيت مثله .. ولا رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ، ولا أتبع لهما ، منه .

وقال الحافظ أبو الفتح الأندلسي :

إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وروايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع من نخلته ولا أرفع من رايته ، برز في كل فن على أبناء جنسه .. ولا رأت عينه مثل نفسه !

ويتحدث الفقي عن المجتمع الجاهل ، المسرف في عبادة الأوثان وتقديس القبور ، الذي ظهر فيه ابن تيمية ، الى جانب الأعداء الذين تكالبوا عليه من كل جانب : الصليبيون يغزون السواحل ، والتتار يعيثون فساداً ، وكثير من الصوفية يقومون بمهمة الأرصاد والعيون للعدو ..

نعم ، في هذا الجو المظلم بتكاثف سحب الصوفية ، وسحب الفلسفة الهندية والفارسية واليونانية ، وسحب التقليد الأعمى واتخاذ الأحبار والأنداد أرباباً من دون الله .. ظهر ابن تيمية ، فأبت عليه كرامته أن يكون له هدف إلا رضوان الله بالإيمان به ، والدعوة الى سبيله ..

« ودارت المعركة بين شيخ الإسلام ومعه ربه ، وبين حزب الشيطان ، ومعه الجماهير ورجال الدولة ، والرؤساء والسادة ، فلم يرهب جموعهم ، ولم يخش سلطانهم ، ولم يهن ولم يحزن لما أصابه من أذام وجسهم ، بل كان يزداد بذلك كله قوة على قوته ، وثباتاً على حقه ..

وقد حفظ الله « كتب شيخ الإسلام وفتاويه ، وحفظ قلبه ولسانه ، وحفظ جسمه وجنانه ، حتى أتاه اليقين وهو حبس الظلم بقلعة دمشق في سنة ٧٢٨ هـ . رحمه الله » .

جهاد ابن تيمية ضد البدع ، واضطهاده ..
يقطع صخرة يتعبدونها لأنها قدم النبي في زعمهم ..
في السلوك للمقرزي :

في أخبار سنة ٧٠٤ :

.. قدم البريد من دمشق بأن تقي الدين أحمد بن تيمية تنازع مع أهل دمشق

في الصخرة التي بمسجد النارنج ، بجوار معلى دمشق ، وان الاثر الذي بها ليس هو قدم النبي (ص) ، وأن ما يفعله الناس من التبرك به وتقبيله لا يجوز ، وأنه مضى بالحجارين وقطع الصخرة في سادس عشر رجب ، وقد أنكر عليه الناس ما فعله .
فأجيب : إن كان الأمر على ما زعم فقد فعل الخير وأزال بدعة ، وإن كان بخلاف ما قال فإذا تبين صحته يقابل على ما فعله !

يكافح الشعوذات

وفي أخبار سنة ٧٠٥ :

وفيها أظهر ابن تيمية الإنكار على الفقراء الأحمديّة فيما يفعلونه : من دخولهم في النيران المشتعلة ، وأكلهم الحيات ، ولبسهم الأطواق الحديد في أعناقهم ، وتقلدهم بالسلاسل على مناكبهم ، وعمل الأساور الحديد في أيديهم ولقهم الشعور وتلييدها ، وقام في ذلك قياماً عظيماً بدمشق ، وحضر في جماعة الى النائب وعرفه ان هذه الطائفة مبتدعة ، فجمع له ولهم الناس من أهل العلم ، فكان يوماً مشهوداً كادت ان تقوم فيه فتنة ، واستقر الأمر على العمل بحكم الشرع ونزعهم هذه الهيئات .

حبس في الطلاق .. وفي الشفاعة .

في أخبار سنة ٧١٨ : « حبس شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية بسبب مسألة الطلاق ، بسعى قاض القضاة شمس الدين بن الحريري الحنفي عليه وإغرائه السلطان به . »

سنة ٧٢٠ : « عقد بدار السعادة بدمشق مجلس لابن تيمية ، ومنع من الإفتاء بمسألة الطلاق ، ثم اعتقل بالقلعة الى يوم عاشوراء سنة ٧٢١ فأفرج عنه . »

سنة ٧٢٦ : في شعبان حبس أحمد بن تيمية وأخوه زين الدين بقلعة دمشق قبل لأنه تكلم في مسألة الشفاعة والتوسل بالأنبياء . وكذلك فعل بابن القيم الجوزية .

ينادون في الجوامع بالنهي عن ابن تيمية

ويذكر المقرئ ان ابن عدلان سعى بابن تيمية لدى السلطان ، فعقد مجلس برئاسة قاضي القضاة ابن مخلوف ، للنظر في بعض أقوال ابن تيمية في الاستواء ، ومسألة خلق القرآن ، وغير ذلك ، فأحضروه من دمشق ، « فاجتمع القضاة والفقهاء بقلعة الجبل ، - في القاهرة - وحضر الأمراء ، فادعى ابن عدلان على ابن تيمية ، فلم يجبه ، وقام بخطب !

فصاح عليه القاضي ابن مخلوف : نحن أحضرك للدعوى عليك ، ما أحضرك خطيباً ! والزمه بالجواب ، فقال له :

أنت عدوي ! لا يجوز حكمك علي !

فأمر باعتقاله ، فأخذ ، وسجن بجماعة الديلم في القاهرة ، هو وأخوه ، وأرسلوا الى دمشق كتاباً « ليقرا على منبر الجامع بالمنع من الكلام في العقائد والنهي عن اعتقاد شيء من فتاوى ابن تيمية ، وان يكتب على الحنابلة محاضر بالرجوع عن ذلك ، !

ابن تيمية في شعر سلامة

ويقول بولس سلامة في قصيدته : «ملحمة عيد الرياض» :

كان في غرة الزمان إمام	زلزلت من بيانه الأقلام
هز مصرأ فعضه القيد فيها	وتولت خنق الأسير الشأم
« ابن تيمية » بنور على الأو	هام فالخير في الطروس ضرام .
وأشد الثورات في خاطر الأ	جبال حرب وقودها الأفهام .
مات ! ما مات في الغيابة شيخ	لنحت من يراعه الأيام
(بابن عبد الوهاب) عاش دفين	صاح : هبوا يا أيها النوام !

من تلامذة ابن تيمية

ابن القيم الجوزية

قال ابن رجب في الطبقات :

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي ، الفقيه الأصولي النحوي المفسر ، الملمن في علوم كثيرة ، العارف بالحديث ومعانيه ، والفقه ودقائقه والاستنباط منه .

كان له عبادة وتهجد إلى الغاية ، ولهج بالذكر وشغف بالهبة والالابة والافتقار إلى الله تعالى والانكسار بين يديه .

حج مرات ، وجاور بمكة ، وانتفع به أهل عصره ، وله مصنفات كثيرة في فنون عديدة .

توفي بدمشق سنة ٧٥١ هـ ، ... ودفن بمقبرة باب الصغير ، وقبره مشهور الآن ... وبني عليه قبة الآن .

قلنا : دعا طول حياته إلى مكافحة البناء على القبور ونحو ذلك ، فلما مات جعلوا على قبره قبة .

وقد لقي ، رحمه الله ، في حياته أذى كثيراً من ظلم الحكام وحقد الخصوم من أدعياء العلم ، ويقال أن جسده آخر مرة كان بسبب أقواله في مسألة الشفاعة ، والتوسل بالأنبياء .

ومن أجل كنه : اعلام الموقعين ، والطرق الحكمية .

الحافظ الذهبي

هو العلامة حافظ العصر ، محدث الاسلام ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ابن قايماز الذهبي . سمع من خلائق كثيرة يزيدون على ألف ومشي شيخ ...

وصنف التصانيف الكثيرة البديعة المشهورة ، مع الدين المتين والورع والزهد ، وأذعن له أهل عصره في الحفظ والاتقان . توفي سنة « ٧٤٨ » ، في دمشق ، ودفن بباب الصغير .

العماد بن كثير

هو عماد الدين بن كثير البصري ثم الدمشقي .
تفقه على البرهان الفزاري والكمال بن قاضي شبة ، وأقبل على علم الأصول والحديث ، وحفظ المنون والتواريخ ، حتى برع وهو شاب .
له مصنفات كثيرة بديعة مشهورة ، وكان يميل إلى شيخه ابن تيمية ويناضل عنه .

مات سنة « ٧٧٤ » هـ . ، ودفن بمقبرة الصوفية ، عند شيخه ابن تيمية .

الكتب المعتمدة عند الحنابلة « الوهابية » ، في نجد

قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، في إحدى رسائله :
« كتب التفسير : اثنا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة ومن أجلها لدينا : تفسير ابن جرير ، ومختصره لابن كثير الشافعي .
وكذلك البغوي ، والبيضاوي ، والحازن ، والحداد ، والجلالين ، وغيرهم .
كتب الحديث : وعلى فهم الحديث بشرح الأئمة المبرزين ، كالعسقلاني ، والقسطلاني على البخاري ، والنووي على مسلم ، والمناوي على الجامع الصغير .
ونحرص على كتب الحديث ، خصوصا الأمهات الست وشروحها ^(١) .
سائر الكتب : ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون ، أصولا وفروعا ،

١ - كتب الحديث الستة ، غير البخاري ومسلم ، هي : الموطأ « للمالك » ، والمسند « لابن حنبل » ، والكتب المعروفة بـ « السنن » ، للترمذي ، وأبي داود والنسائي وابن ماجه .

وقواعد وسيرا ونحوا وصرفا وجميع علوم الأمة .
ولا تأمر بالآلاف شيء من المؤلفات أصلا ، الا ما اشتمل على ما يوقع الناس في
الشرك ، كـ «روض الرياحين» ، وما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق^(١) ،
فانه قد حرره جمع من العلماء ، وكالدلائل ، على أنا لا نفحص عن مثل ذلك .. الا
ان تظاهر به صاحبه معاندا ، أئلف عليه .
وما اتفق لبعض البدو من آلاف بعض كتب أهل الطائفة ، انما صدر من
بعض الجهلة وقد زجر هو وغيرهم عن مثل ذلك .
ويجب علينا أن نضيف الى الكتب التي ذكرها الشيخ عبد الله ، على سبيل
المثال لا الحصر : كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكتب ابن تيمية وابن
القيم الجوزية ، وكذلك كتب موفق الدين بن قدامة ، وهو عندهم ، في الفروع ،
من المراجع المعتبرة جدا .
وموفق الدين بن قدامة ولد في دمشق سنة ٥٤١ ونوفي سنة ٦٢٠ هـ . ودفن
بسفح جبل قاسيون ، وقبره هناك يسمى الروضة ، لأنه دفن فيه ..
وهو صاحب « المغني » ، و « المقنع » وغير ذلك من المصنفات في الفقه
الحنبلي .

١ - انما يعني بالمنطق تلك الكتب القديمة المزروجة بالفلسفة الباطلة ، لا المنطق السليم .

وفاة الشيخ

من المؤسف أن مؤرخي نجد ، ابن غنام وابن بشر ، لا يتفقان على تاريخ وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فابن غنام يقول :

« كان ابتداء المرض به رحمه الله تعالى في شوال ، ثم كان يوم الاثنين من آخر الشهر وفاته ، ويقول ابن بشر :

« وكانت وفاته آخر ذي القعدة من السنة المذكورة - ١٢٠٦ هـ . - رحمه الله تعالى وعفا عنه ، وكان قد ثقل في آخر عمره ، فكان يخرج لصلاة الجماعة يتهاذى بين رجلين حتى يقام في الصف ، وله من العمر اثنتان وتسعين سنة . »

ويزعم صاحب « لمع الشهاب » أن الشيخ توفي عام ١٢١٢ ، ولعل هذا التاريخ نتيجة خطأ مطبعي ، وبما قاله أيضاً :

ان الشيخ ، لما بلغ الثمانين من عمره ، اعتزل عن التصرف في الأمور ، واتخذ الخلوة والزهد والورع .

ثم وصف حزن الناس الشديد عليه ، وخصوصاً الإمام عبد العزيز ، ثم قال : « أخرجت جنازته إلى المسجد الجامع فجاء الناس فوجاً فوجاً لصلاة عليه ، ودفن في مقبرة معهودة لآل سعود من قبل . »

تركة الشيخ

ويقول صاحب الملع إن الشيخ « لم يخلف من المال إلا أرضاً قد اشتراها في حياته في بدء الأمر ذات نخل وزرع وأشجار وفواكه تسوى خمسين ألف ذهب - كذا - .

وتترك مائتي كتاب ، وقيل مائة كتاب .
فأما الكتب فإنها باصطلاح أولاده أجمع جعلت وفقاً لكل عالم يتولى مسند القضاء والفتيا .
وأما الأرض فقد بقيت غير مقسومة ، كما هي قبل موته ، ولكن الحاصل منها كل سنة يقسم بين الورثة

زوجات الشيخ

تزعم صحيفة الخليج الفارسي أن الشيخ كان «مزوجاً» ، تزوج نحو عشرين مرة ، وكان له ثمانية عشر ولداً بين ذكور وإناث .
وليس بين يدينا ، في الكتب العربية ، إثبات لهذه الرواية ، ولكننا لا نملك نفيها أيضاً !

والمعروف أن الشيخ تزوج ، في أول شبابه ، في العينة ، في حياة والده ، وقبل رحلته .

ويقال أيضاً - وتلك رواية الملع - إنه تزوج في بغداد امرأة فنية .
ولما انتقل إلى العينة ، من حرمل ، تزوج « الجوهرة » بنت عبدالله بن معمر ، وهي التي نزل محمد بن سعود بأمانها من مكان كان صعد إليه وتحصن فيه ، بعد مقتل زيد بن مرخان ، أمير الدرعية .

أبناء الشيخ

كانوا ، في نجد ، اذا قالوا : الشيخ ، مجردا من كل اسم أو لقب ، عرف كل انسان ان المقصود بذلك ، هو : الشيخ محمد بن عبد الوهاب .
ولذلك سموا أولاده : أولاد الشيخ
وتعرف ذرية الشيخ الى اليوم في البلاد باسم : آل الشيخ .
وأولاد الشيخ الذكور ، هم : حسن وحسين وعبد الله وعلي وابراهيم وعبد العزيز .
وقد مات ابراهيم وعبد العزيز ، في حياة والدهما ، ولم يعقبا .
وستحدث قليلاً عن أولاده الأربعة الأوائل .

١ - حسن

لا يذكر ابن غنام ولا ابن بشر شيئاً عن ابن الشيخ : « حسن » ، ولكن ابنه عبد الرحمن بن حسن كان أكبر علماء نجد في زمانه ، وكذلك ابن ابنه عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، كان أجل علماء نجد في وقته .

٢ - حسين

يقول ابن بشر ، في أخبار سنة « ١٢٢٤ هـ . » :

« وفيها اشتد الرباء والمرض ، خصوصاً في بلد الدرعية ، ومات في الدرعية خلق كثير .. »

وتوفي في هذا الرباء من الأعيان :

العلامة المفيد ، مفتي فرق أهل التوحيد ، الشيخ القاضي حسين ، ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كان له معرفة في الأصل والفرع والتفسير وغير ذلك .. كان الشيخ حسين هو القاضي في بلد الدرعية ، والخليفة بعد أبيه في القضاء والامامة والخطبة .

كان اماماً في مسجد البجيري الكبير الذي في منازل الدرعية الشرقية ، وكان حيناً بحيث أنه يسمع تكبيره في الصلاة أدنى المسجد وأقصاه .. وهو الخطيب والامام يوم الجمعة في مسجد الطريف الكبير ، الذي تحت قصر آل سعود في المنازل الغربية .

وكان ضريباً بصره . .

.. وله عدة بنين ، ومعرفتي منهم : علي وحسن وعبد الرحمن وحمد وعبد الملك .

ومن مشاهير ذرية حسين : ابن ابنه : عبد الله بن حسن بن حسين ، قاضي قضاة المملكة العربية السعودية ، في وقته .

٣ - عبد الله

يقول ابن سحمان ، في كتابه : « كشف غياهب الظلام » :
« كان القائم بعد الشيخ بهذه الدعوة : ابنه عبد الله ، لما خصه الله تعالى به من العلم والمعرفة ، وكان اخوانه من آل الشيخ معاضدين له .
وكان الامام عبد الله هو الامام الذي ترجع اليه الأمور في وقته ، ثم لما نقل ابراهيم باشا آل سعود وآل الشيخ الى مصر ، مكث عبد الله بها مدة طويلة ثم مات بمصر . »

وهذا الكلام قد يبدو مناقضاً لقول ابن بشر إن الخليفة بعد الشيخ محمد هو

ابنه حسين ، والراجع أن الشيخين عبد الله وحسين توزعا الأعمال ، فكان الشيخ حسين خطيباً مع القضاء ، وكان الشيخ عبد الله يقوم مع القضاء بسائر الشؤون الدينية ، المتفرعة عن الدعوة .

تولى الشيخ عبد الله القضاء لعبد العزيز وسعود وعبد الله بن سعود . ولما استولى ابراهيم باشا على الدرعية نفى عبد الله ، مع من نفاهم ، الى مصر ، فمات فيها .

وكان لعبد الله ولدان مشهوران : سليمان وعبد الرحمن أما سليمان ، فمات قبل أبيه ، شهيداً ، وذلك أن ابراهيم باشا أمر باحضاره الى مجلسه ، وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر ليغيظه - وكان ابراهيم باشا أحضر معه الى الحجاز ونجد المغنيات وآلات اللهو والمسكرات - ثم أمر جنوده باطلاق الرصاص عليه فأردوه قتيلاً^(١) .

وأما عبد الرحمن بن عبد الله ، فقد عاش منفياً في مصر ، ومات فيها سنة ١٢٧٤ هـ .

وكان عبد الرحمن هذا عالماً بشار إليه بالبنان ، وكان يدرس في رواق الخناينة في الجامع الأزهر بالقاهرة ، واستوطن أولاده في مصر . ويظهر أن المؤرخ الفرنسي « مانجان » اخذ أكثر معلوماته عن نجد من الشيخ عبد الرحمن ، خلال أقامته في مصر ، بمهمة علمية .

١ - انظر مقدمة « تيسير العزيز الحميد في شرح التجويد » ، للمفتي الاكبر سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم .

تلامذة الشيخ

ذكر ابن بشر من تلامذة الشيخ المشاهير أحد عشر شيخاً ، وهم :

- ١ - أحمد بن ناصر بن عثمان بن معمر .
- ٢ - عبد العزيز بن عبد الله الحصين .
- ٣ - سعيد بن حجي .
- ٤ - محمد بن سويلم .
- ٥ - عبد الرحمن بن خميس .
- ٦ - عبد الرحمن بن قامي .
- ٧ - محمد بن سلطان العوسجي .
- ٨ - عبد الرحمن بن عبد المحسن أبا الحسين .
- ٩ - حسن بن عبد الله بن عيدان .
- ١٠ - حمد بن راشد العربي .
- ١١ - عبد العزيز بن سويلم .

الوهابية في بعض الكتابات الغربية الحديثة

هنري لاوست

Henri Laoust

يقول المستشرق الفرنسي « هنري لاوست » إن « السلفية الجديدة » لقب يطلق على حركة الإصلاح والتجديد الديني التي نادى بها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومن يقول بقولهما ، وقد سبق لهذين الزعيمين أن اجتمعا في باريس عام (١٨٨٣) ووضعاً معاً أسس حزب ديني عصري متحرر .

ويطلق لقب السلفية أيضاً على الحركة الوهابية ، لأنها أرادت إعادة الاسلام إلى صفائه الأول ، في عهد السلف الصالح ، ولكن كلمة السلفية ليست خاصة بالوهابيين أو الحنابلة ، ففي كل المذاهب السنية سلفيون .

كان ابن تيمية يستعمل كلمة السلف (أو السلفية) ، ولكنه كان يستعمل أكثر من ذلك كلمة « محمديين » ، وأما الوهابيون فيرجحون استعمال كلمة « الموحدين » .

وهناك فرق واضح ، في الحقيقة ، بين الوهابية والسلفية الجديدة . فالوهابيون حنابلة ، في العقيدة والفقه ، وهم في الفروع يتبعون أفكار موفق الدين بن قدامة أكثر مما يتبعون ابن تيمية وابن القيم الجوزية .

ولكنهم، لشدة تمسك بعضهم بأقوال علماءهم السابقين، خالفوا الفكرة التي شاعت
عندهم - بفضل مؤسس الحركة الوهابية الإصلاحية - والتي تتلخص في أنهم ثاروا على
التقليد، ورجعوا بالاسلام الى صفاته الأولى .
ان السلفية الجديدة « تتميز » عن غيرها ، بأن نظرياتها أدنى الى العقل ، وأنها
تفتح باب الاجتهاد ، وتكافح الحرافات ، والغلو في الدين ، وتجتهد في التوفيق بين
الدين وبين مطالب العصر .

لامانس

Henri Lammens

يقول المستشرق ، البلجيكي الأصل، الأب «لامانس» في كتابه: «الاسلام»،
ان محمد بن عبد الوهاب « تبنى » كل أفكار ابن تيمية، وفهم « القرآن » كما يفهمه
أهل الظاهر ، ولم يكن راضياً عن آراء الأشعريين ، وكان عدواً لكل جديد، مهما
يكن شكله .

وكان يرى أن تكون المساجد في منتهى البساطة ، فلا فيفساء ولا طلاء ...
ولا منارة ولا محراب .

والوهابية و « السنوسية » في المغرب تتشابهان من حيث دعوتها المشتركة
للعودة الى بساطة الاسلام الأولى ، ولكنها مختلفتان الآن .. فالسنوسية هادنة
« الصوفية » - أو حالفتها - فنشأت في ظلها الطرق والزوايا ، التي يسمونها
« الحوان » - ولعلها تحريف الاخوان - كما نشأت طرق « الخلوتية » و « الرحمانية »
و « التيجانية » ، التي ينتمي اليها أكثر من مائتي ألف رجل ..

القبور - وبما أخذته الوهابية عن ابن تيمية مكافحتها لتقديس الموتى ، والبناء
على القبور ، ومن المفارقات العجيبة ان (ابن تيمية) له ضريح في دمشق، وبين
الأضرحة الصوفية ، المبنية ا

مسألة الإجماع - أخطر ما عند الروهابيين مسألة : « الإجماع » ، فهم يعرفون الإجماع بأنه إجماع الصحابة والتابعين فقط .. بينما قبل « الغزالي » إجماع الأمة ، الممثلة في علمائها المجتهدين ، ولو كان ذلك في العصر الحاضر . وهذه الوسيلة مُبِيلَت أمور كثيرة ، لم تكن موجودة في عهد الصحابة وتابعيهم ، كالولاء النبوي ، وأخيراً .. التصوير « الفوطوغرافي » .

وكذلك خلافة العثمانيين ، مع أنهم ليسوا من العرب ولا من قريش ، قبل بها الناس ، فاعتبر إجماعهم كافياً لجعلها شرعية .

قد يكون الروهابيون على شيء من الحق في مناهضتهم للإجماع الذي يقول به غيرهم من أهل السنة ، ولكنهم يحصرهم الإجماع بالصحابة والتابعين فقط ، ضيقوا الدائرة .. أمام « التطور » الذي يستوجبه انتشار الإسلام في العالم وتغير الأزمنة .. والروهابية في هذا الموقف تشبه الكنيسة اليونانية الشرقية التي لا تقبل إلا « تعريفات » المجامع « الأوكومونية » السبعة الأولى ، ولقف عندها !

الأتراك والحنابلة

شجع السلاجقة ، ثم الأتراك ، المذهب الحنفي ، الذي كان يدعى بحق مذهب الرأي ، وكانوا يسمون مؤسسه أبا حنيفة : « الإمام الأعظم » . وهكذا ضعف شأن الحنابلة .

ثم ظهر في الشام ابن تيمية ، وقاوم الصوفية ، وكافح البدع وأعطى الحنبلية رواء جديداً ، ولكنه اضطر وعذب ومات مقهوراً .

وجاء بعده ، بأربعة قرون ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فسار على نهجه ، ولعله إنما بدأ بقراءة كتبه أثناء إقامته في « المدينة » فأحبه وأعجب به وجدد أفكاره وبعثها بعثاً قوياً ووفق في حركته ..

ويندر

R . B . Winder

ويقول ر . ب . ويندر في كتابه : « العربية السعودية في القرن التاسع عشر » :

كما سموا أريسطو : « المعلم »

هكذا سموا محمد بن عبد الوهاب : « الشيخ » .

وبما قاله : إن الشيخ علم الناس المباديء الوهابية في وقته ، ولم يدخل عليها أتباعه من بعده إلا تغييرات قليلة .

ثم قال : إن رئيس الحكومة الوهابية - أو الإمام - يجب عليه تنفيذ أحكام الشرع .

.. وعندهم (مطوعة) يكرهون الاس على الصلاة في المساجد ونحو ذلك . ونحن لا نعرف إن كانت الوهابية تستطيع مواجهة عصر الذرة والفضاء ، ولكن أحداً لا ينكر قيمتها وأثرها في الفكر الاسلامي الحديث ، وأنها استطاعت الانتقال من « الواقعية » الى « المثالية » ، وبما كان عليه الاسلام الى ما يجب أن يكون عليه ، وبقيت محتفظة « بمحيويتها » وفكرتها التحريرية .

لقد صدم الوهابيون الأوائل بتشدد سائر المسلمين ، ولكن الوهابية في الحقيقة كانت نعمة على المسلمين بمسامحتها الواسعة في تنبيه المسلمين الى مظاهر الوثنية وتحذيرهم منها .

ولم يقتصر فضل الوهابية على خدمة الدين بتطهيره من آثار البدع ، وإنما كانت لها ناحية قومية ، لأنها وقفت أيضاً في وجه الدولة العثمانية وحررت منها قسماً من جزيرة العرب ودعت الشعوب العربية بذلك الى التحرر أيضاً .

ولا شك ان الوهابية حققت فكرة ابن خلدون القائل ان العرب البدو يستطيعون ان يؤلفوا قوة لها شأنها متى انتقدوا الى الدين .

ومن يقارن بين مراحل ظهور الدين الاسلامي وانتشاره ، وبين مراحل ظهور الحركة الوهابية وانتشارها وما سبق ظهورهما من جاهلية يجد أوجه الشبه واضحة .

ماسه

H. Massé

ويقول هنري ماسه في كتابه « الاسلام » :

ولدت الوهابية من نزعة مضادة تماماً للنزعة التي نشأت عنها حركة « أكبر » ، لأنها أرادت الرجوع الى الماضي ، وزادت (أو زادت) على توحيد المسلمين ، وكلهم في الحقيقة ، موحد .

رأت الوهابية في كثير من العادات والأعمال الممارسة منذ وقت طويل نوعاً من الشرك : كتقديس الأنبياء والأولياء والقبور ، وفي نظرها ان الأنبياء والأولياء لا يملكون معرفة الأشياء الغيبية ، واعتبارهم شفعاء أو وسطاء هو اعطاؤهم سلطاناً لا يملكه إلا الله وحده ، ومحمد نفسه لا يعطى حق الشفاعة إلا في الدار الآخرة . إن الوهابيين لا يميزون تقديس شيء مخلوق ، مثلاً السجود أمام القبر ، ولو كان قبر النبي ، ولا الطواف حوله بخشوع ، ولا تقبيل حجر يعتبر مقدساً ، وهم ينكرون الطيرة (كالاعتقاد بأبام سعد وأبام نخس) وتصديق الكهان ، وهم كذلك ينكرون الحلف بالنبي أو بأهل بيته ، كما أنهم يحرمون المشروبات الكحولية والدخان والموسيقى والرقص واللهو ..

والوهابية تستعير اسمها من ابن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٧٨٧ م ، ولم تنشأ عن أفكار كأفكار الخوارج - كما يتوهم بعض الجهلاء - وإنما نشأت عن الأفكار الحنبلية .

ولقد بعثت الحنبلية عملياً في أوائل القرن الرابع عشر بفضل فقيه عظيم هو ابن

تيمية ، الذي هوجم كثيراً ومات في السجن . ولكن في القرن الثامن عشر ، ظهر ابن عبد الوهاب ، وتشبع من أفكار ابن تيمية ، واستخرج منها « الوهابية » التي تلتخص في أنها رد فعل عنيف جداً ضد فكرة « التقديس » المسيطرة يومئذ .

معلمة الإسلام

كتبت معلمة الإسلام ، في نسختها الأنكليزية ، تحت عنوان « الوهابية » ، ما يأتي :

غاية الوهابية تطهير الإسلام ، ونجريده من البدع التي أدخلت عليه بعد القرن الثالث الهجري ، ولذلك نراهم يعترفون بالمذاهب الأربعة وبكتب الحديث الستة . أما أعظم الأشياء التي ينكرونها ، فهي الأمور الآتية ، نستعيها من كتاب « المص » :

- ١ - كل انواع العباداة ، ما عدا عبادة الله ، باطلة ويستحق فاعلها القتل .
- ٢ - من الشرك إدخال اسم نبي أو قديس أو ملك في الصلاة ..
- ٣ - من الشرك طلب شفاعة أي إنسان عند الله .
- ٤ - من الشرك الدعاء لغير الله .
- ٥ - من الكفر تأويل القرآن .
- ٦ - من الكفر اتباع رأي لا يستند إلى القرآن أو الحديث أو القياس .
- ٧ - من الشرك تقديس الأولياء والصالحين وتعبد القبور .
- ٨ - إنكار القدر في كل الأفعال إلحاد .

وبمختلف الوهابية ، مع انهم حنابلة ، عن ابن حنبل بما يلي :

- ١ - حضور الصلاة في المساجد إجباري .
- ٢ - لا يكفي التلفظ بالشهادة لجعل الإنسان مسلماً وجعل ذبيحته حلالاً ، وإنما

- يجب استقصاء أحواله .
- ٣ - الزكاة تؤخذ عن الأرباح الخفية ، كالأرباح التجارية ، بينما يستوجبها ابن حنبل على الأرباح الظاهرة .
- ٤ - التدخين محظور (ومجسد) صاحبه (٤٠) جلدة على الأكثر ومن يخلق لحيته (يعزر) ..
- وزاد « زوير » : انهم لا يستعملون « المسبحة » وإنما يذكرون اسم الله على أصابعهم ، وأن مساجدهم بسيطة وليس فيها ما ذن .

معجم هاستنغ

- وجاء في معجم « هاستنغ » الشهير ، المسمى « الدين والأخلاق » ، في بحث « الوهابية ما يأتي :
- إن أصحاب هذا المذهب يقولون :
- ١ - ان الله له شكل جسماني ، أي له وجه وبدان الخ ..
 - ٢ - لا موضع عندم للرأي في المسائل الدينية ، وإنما يجب حل هذه القضايا بالرجوع إلى القرآن والسنة وحدهما .
 - ٣ - لا يعترفون « بالإجماع » ، مصدرًا للأحكام .
 - ٤ - لا يعترفون كذلك « بالقياس » .
 - ٥ - المسلمون الذين لا يدخلون معهم في جماعتهم يعتبرون كفاراً .
 - ٦ - لا الرسول ولا أي ولي يستطيع أن يكون واسطة بين الخالق والعبد .
 - ٧ - يحرمون زيارة قبور الأولياء .
 - ٨ - لا يجوز الحلف إلا بالله وحده .
 - ٩ - النذور محرمة إلا لله ، ولا يجوز تقديم الذبائح إلى أضرحة الأنبياء أو الأولياء .

لوثرروب ستودارد

Lothrop Stoddard

يقول لوثرروب ستودارد ، في كتابه : « حاضر العالم الاسلامي » ، الذي نقله الى العربية عجاج نويهض وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان :
« في القرن الثامن عشر كان العالم الاسلامي قد بلغ من التضعف أعظم مبلغ ومن التدني والانحطاط أعمق دركه .. وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحداية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجعاً من الحرافات والقشور الصوفية وخلت المساجد من أرباب الصلوات ..

وفيما العالم الاسلامي مستغرق في هجعتة اذا بصوت يدوي من قلب صحراء شبه جزيرة العرب ، مهد الاسلام ، ويوقظ المؤمنين ويدعوهم الى الاصلاح والرجوع الى سواء السبيل ، فكان صاحب هذا الصوت الصارخ انما هو : المصلح المشهور محمد ابن عبد الوهاب ، الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واندلعت السنّها الى كل زاوية من زوايا العالم الاسلامي ، ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على اصلاح النفوس واستعادة المجد الاسلامي القديم والعز التليد ، فتبدت تباشير صبح الاصلاح ، ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الاسلام .

تشدد الوهابيين في أول الأمر

.. قام عدد من النقدة ، اتخذوا الوهابية دليلاً لكلامهم ، وقالوا ان الاسلام بجوهره وطبائعه غير قابل للتكيف على حسب مقتضيات العصور وبمباشرة أحوال الترقى والتبدل ، وليس الفات تطورات الأزمنة وتغيرات الأيام .

بيد ان تقدم هذا فاسد باطل ، ولا مسوغ له ، اذ قد فاتهم أن الدور الأول لكل اصلاح ديني انما هو الرجوع الى حالة أصل ذلك الدين المراد اصلاحه ، والاستمساك به على حالته الأولى استمساكاً لا بمحتمل نقد ناقد ولا انتمام منهم ،

فالمصلح الديني لا يرى سبيلا للقيام بالاصلاح وبلوغ الغاية الا بنسخ جميع البدع والأوهام اللاصقة بالدين دون اعتبار صفاتها وماهيتها .
ليعتبرون العاقل اللبيب : انه لما بدأ الاصلاح البروتستانتي عندنا انما كان مبدأه على هذه الطريقة .. فقد نبذ المتعصبة المتشددة من البروتستانت المعروفين باسم « المتطهرين » المصلح الكبير « أراسيموس » ، وانهموه بالباطل وشددوا عليه النكير متعابين قائلين ان الحركة الاصلاحية انما هي افتراء على الدين الصحيح ، ولا شأن لها سوى ابدالها « البابا » المعصوم بالتوراة .. المعصومة .

جان ريفوار

Jean Rivoire

كتب « جان ريفوار » ، الذي أسلم وتسمى باسم : « حيدر بامات » ، في كتابه « مجالي الاسلام » ، الذي نقله الى العربية المرحوم عادل زعيتر :
« نحمّل أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر طابع أعظم سقوط مني به الاسلام ، وكانت الامبراطورية العثمانية وفارس وأمبراطورية المغول بالهند في دور الانحلال ..

وعاد الدين ، الذي أثقل بالخرافات الخزية ، لا يمت الى توحيد محمد (ص) بغير صلات بعيدة ، فقد حلت محله باطنية باطلة وعبادة للأولياء والأضرحة ، استغلت بهارة من قبل مشايخ جاهلين موزعين لتأثم وتعاويند ..

وكان البلدان المقدسان ، مكة والمدينة ، يعرضان مظهراً مكدرًا من الفسق والفساد في موسم الحج من كل سنة ..

وفي هذه الأحوال المنكدة للاسلام كثيرا ، حين كان يظهر أن روحه تهجره ، حدث رد فعل شاف ، وقد انطلق رد الفعل هذا من جزيرة العرب ..
وكان محمد بن عبد الوهاب ذاك النذير ..

وتحف بتعاليم هذا الرجل ، الذكي الفؤاد ، والمتبن الخلق ، والذي يشبه
بـ « كالفين ، أحيانا ، قلوب بني قومه ، فقد نفخ فيهم حماسة الأيام الأولى من
الهجرة .

وما قام به من دعوة للعودة الى نقاوة الاسلام الأولى دوتى حتى أقاصي العالم
الاسلامي ، فكان خميرة فعالة أحييت جميع حركات الإصلاح التي حدثت منذ ذلك
الحين . .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن رحلة الشيخ ومكافحته للبدع ، ثم يقول ان الوهابية
هي الحنبلية نفسها ، ولكنها في مظهر أكثر تشددا ، وان جماعة من النقاد رأوا أن
الوهابية ستحول دون سير البلاد في طريق النهضة لتمسكها بالحالة التي عليها القوم
وتخوفها من روح العصر ، ولكن نهضة المملكة العربية السعودية الحاضرة أثبتت
فساد أقوال هؤلاء النقدة ، وبعد ما حققته حتى الآن « دليلاً بيناً على أهلية الوهابية
الملائمة لمقتضيات الأزمنة الحديثة » ، ولقادة المملكة في سياستهم الإصلاحية قاعدة
حكيمية وهي الأخذ بالجوهر والمفيد ، وطرح العرض وكل ما كان فاسداً ، وقد
أحسن الضابط « أرمسترونغ » بقوله :

« عزم ابن سعود على ألا يقتبس من الأوروبيين غير أصلح ما يقدمون اليه ، فهو
لا يريد أن يتحلل غير ما يحققونه عملياً ، من سيارات وطائرات ونحو ذلك ،
ولكنه يضرب ببادئهم عرض الحائط ..

وهو سيعمل رعاياه على الطريق السوي ، ولكنه لن يعجزهم مطلقاً ..
وهو يفضل تحولاً في المزاج الذهني وفي طراز العيش على اتعمال الأزياء
الأوروبية .. »

مَا كُتِبَ عَنْ الوَهَابِيَّةِ حَدِيثاً فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

كثرت الكتابات عن الوهابية قديماً وحديثاً .
وفيه ثناء ، وفيها فحرج !
وكانت الكتابات في زمن العثمانيين كلها تقريباً حملات جائرة ظالمة ، ثم أخذ
الناس بتشككون في حقيقة هذه الكتابات ، ويتفهمون الأسباب السياسية
والدوافع الشخصية التي كانت تملها على أصحابها .
وأخيراً بدأ العلماء المنصفون يعطون الحركة الوهابية حقها من الانصاف
والتقدير ، وان لم يكونوا من أتباعها وأنصارها ، وإذا اختلفوا معها في أشياء ، فهم
يعرفون لها فضلها ومزاياها ، ولكنهم انما يخشون عليها من الغلاة الذين يريدون
فرض آرائهم « المتطرفة » على الآخرين ، لتوهمهم أن الحق معهم وحدهم !
وها نحن نقطف شيئاً مما كتبه المؤلفون العرب عن الوهابية ، وبما ترجم من
كتب الغربيين الى اللغة العربية :

طه حسين

الوهابية أيقظت النفس العربية

قال طه حسين ، في محاضراته «الحياة الأدبية في جزيرة العرب» :

« يعنينا من هذا المذهب أثره في الحياة العقلية والأدبية عند العرب ، وقد كان هذا الأثر عظيماً خطيراً من نواح مختلفة، فهو قد أيقظ النفس العربية ، ووضع أمامها مثلاً أعلى أحبه وجاهدت في سبيله بالسيف ، والقلم ، واللسان ، وهو قد لفت المسلمين جميعاً ، وأهل العراق والشام بنوع خاص ، الى جزيرة العرب » .

عباس محمود العقاد

أثر ابن تيمية واضح

ويقول عباس محمود العقاد في كتابه : « الاسلام في القرن العشرين » :
« المنبع الذي صدرت عنه الحركتان : حركة ابن تيمية وحركة ابن عبد الوهاب واحد : هو مذهب ابن حنبل ..

ولكن ابن عبد الوهاب تأثر كذلك بحركة ابن تيمية ، وقرأ كتبه ورسائله وفتاواه ، وتقهمها وأخذ عنها ، وترسم خطاه ، وأخذ بآرائه ، كما تأثر كذلك بكتب تلميذه ابن القيم الجوزية وآرائه ، وبما يثبت هذا كله أن بعض رسائل ابن تيمية الموجودة في المتحف البريطاني مكتوبة بخط محمد بن عبد الوهاب ، فهي بما كان ينسخه لنفسه ، وهو في رسائله التي كتبها لشرح دعوته أو لمناقشة معارضيها يعتمد كثيراً على آراء ابن تيمية وابن القيم الجوزية ويستشهد بأقوالهما » .

ويرجع العقاد أسباب فشل حركة ابن تيمية الى كثرة الفرق الدينية في الشام وكون العالم الاسلامي يومئذ كان في عنفوان ثورته على الصليبيين ، ثم لم تكن له قوة سياسية وحربية تسانده .. بل كان هناك العكس ، وكان القضاء والولاة ضده .. بعكس مما كان الحال مع محمد بن عبد الوهاب .

كانوا مخطئين في مسألة التكفير

وقال العقاد أيضاً : « وبما أخذه المعارضون على الحركة الوهابية كذلك ترمتها

الشديد واتهامها لكل من لا يأخذ ببادئها بالكفر والمروق ، ثم يقول : إن الاجتماع منعقد أو يكاد على استنكار البدع والخرافات التي ذكرها ابن عبد الوهاب ، ولكن الخلاف على الشرك والتكفير أو على درجة الشرك الذي يخرج صاحبه عن الملة .

وأكبر من خالف الشيخ في ذلك أخوه الشيخ سليمان صاحب كتاب « الصواعق الإلهية » وهو لا يسلّم لأخيه بمنزلة الاجتهاد والاستقلال بفهم الكتاب والسنة ويقابل تفسيراته بتفسيرات تذهب في غير مذهبها ، ويعتمد على ابن تيمية وابن القيم في مناقشة أخيه ، فيقول إن من أصول أهل السنة المجمع عليها ، كما ذكرها : « أن الجاهل والمخطيء من هذه الأمة يعذر بالجهل والخطأ حتى تتبين الحجة التي يكفر تاركها بياناً واضحاً لا يلتبس على مثله أو ينكر ما هو معلوم بالضرورة من أركان الإسلام مما أجمعوا عليه إجماعاً جلياً قطعياً يعرفه كل من المسلمين » .

ويرى أن البدع التي يربها الأئمة جيلاً بعد جيل ولا يكفرون أصحابها ، لا يكون الكفر فيها من اللزوم الذي يوجب القطع به ويستباح من أجله القتال .» .

أحمد أمين

تحدث المرحوم الاستاذ أحمد أمين ، في كتابه : « زعماء الإصلاح في العصر الحديث » ، حديثاً طويلاً عن المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بدأه بالكلام عن نشأته ورحلته ، فقال إنه « طوّف في كثير من بلاد العالم الإسلامي ، فأقام نحو أربع سنين في البصرة ، وخمس سنين في بغداد وسنة في كردستان وستين في همدان ثم رحل إلى أصفهان حيث درس الفلسفة والتصوف ، ثم تحدث عن التوحيد الذي قامت عليه حركة ابن عبد الوهاب ، وعن شدة تأثره بأراء ابن تيمية في مكافحة البدع ، وفسر نجاحه بأنه نتيجة التعاون الوثيق بينه وبين الأسرة السعودية ثم انتقل إلى الحديث عن موقف الحكومة السعودية الراهنة من رجال الدين ، وكان الأجدر به أن يفرق بين رجال الدين وبين الغلاة الذين لا يخلو منهم بلد ، فقال :

طريق وسط بين تيارين

رأت « الحكومة » نفسها أمام قوتين قويتين قويتين لا معدى لها عن مسايرتها : قوة رجال الدين في نجد المتمسكين أشد التمسك بتعاليم ابن عبد الوهاب والمتشددين أمام كل جديد فكانوا يرون أن التلغراف السلكي واللاسلكي والسيارات والعجلات من البدع التي لا يرضى عنها الدين .

وقوة التيار المدني ، الذي يتطلب نظام الحكم فيه كثيراً من وسائل المدينة الحديثة ، كما يتطلب المصانعة والادارة .

فاختطت لنفسها طريقاً وسطاً وشاقاً بين القوتين ، فقد عدلت نظرها الى الأقطار الاسلامية الأخرى وعدتهم مسلمين ، وبدأت تشر التعليم المدني بجانب التعليم الديني ، وتنظم الادارة الحكومية على شيء من النمط الحديث ، وتسمح للسيارات والطيارات واللاسلكي بدخول البلاد واستعمالها وما الى ذلك ..

وما أشقه عملاً : التوفيق بين علماء نجد ومقتضيات الزمن ، وبين طبائع البادية ومطالب الحضارة .

محمد عبده .. تلميذ ابن عبد الوهاب

وينتهي أحمد أمين بحثه بالتحدث عن أثر الوهابية في الحركات الإصلاحية الحديثة ، فيقول ، على سبيل المثال :

« .. في مصر شب الشيخ محمد عبده فرأى تعاليم ابن عبد الوهاب مثلاً الجوهري ، فرجع الى هذه التعاليم في أصولها من عهد الرسول الى عهد ابن تيمية الى عهد ابن عبد الوهاب ، وكان أكبر أمل أن يقوم في حياته بعمل صالح ، فأداه اجتهاده وبحثه الى هذين الأساسين اللذين بنى عليها محمد بن عبد الوهاب تعاليمه ، وهما :

١ - محاربة البدع ، وما دخل على العقيدة الاسلامية من فساد يشارك الأولياء والقبور والأضرحة مع الله تعالى .

٢ - فتح باب الاجتهاد ، الذي أغلقه ضعاف العقول من المتكلمين .

أبو زهرة

نحدث الشيخ محمد أحمد أبو زهرة في كتابه « المذاهب الاسلامية » الذي ظهر في سلسلة « الألف كتاب » بمصر ، عن الوهابية حديثاً مستفيضاً ، بدأه بالكلام عن جمود العقل وتقديس الفقهاء والصالحين ، قال :

الوهابية ضد تقديس الاشخاص ..

« لقد اتسمت العصور التي جمد فيها العقل بتقديس آراء الأئمة المجتهدين كما أشرنا ، وكان من مظاهر ذلك : تقديس الصالحين في حياتهم وبعد مماتهم ، وزيارة أضرحتهم والطواف حولها بما يشبه الطواف حول بيت الله الحرام ، وكان من أثر ذلك أن قامت طائفة تحارب هذا وتشدد في محاربته متبعة في ذلك آراء ابن تيمية ، وقد أخرجتها من مرقدتها ، بعد أن طمرتها السنون .

ظهرت الوهابية في الصحراء العربية ، نتيجة للافراط في تقديس الأشخاص والتبرك بهم وطلب القربى من الله بزيارتهم ونتيجة لكثرة البدع التي ليست من الدين ، وقد سادت هذه البدع في المواسم الدينية والأعمال الدنيوية . فبعاءت الوهابية لمقاومة كل هذا وأجبت مذهب ابن تيمية .

ومنشئ الوهابية .. درس مؤلفات ابن تيمية فراقت في نظره ، وتعمق فيها ، وأخرجها من حيز النظر الى حيز العمل ، وانهم في الحقيقة لم يزيدوا بالنسبة للعقائد شيئاً عما جاء به ابن تيمية ، ولكنهم شددوا فيها أكثر مما تشدد ، ورتبوا أموراً عملية لم يكن قد تعرض لها ابن تيمية ، لأنها لم تشتهر في عهده ، وبتلخيص ذلك فيما يأتي :

١ - لم يكتفوا بجعل العبادة كما قررها الاسلام في القرآن والسنة وكما ذكر ابن تيمية ، بل أرادوا أن تكون «العادات» أيضاً غير خارجة عن نطاق الاسلام ، فيلتزم المسلمون ما التزم ، ولذا حرّموا الدخان وشددوا في التحريم حتى ان العامة

منهم يعتبرون المدخن كالشرك ..

٢ - وكانوا في أول أمرهم يجرمون على أنفسهم القهوة وما يائنها، ولكن يظهر أنهم تساهلوا فيها فيما بعد .

٣ - ان الوهابية لم تقتصر على الدعوة المجردة بل عمدت الى حمل السيف لمحاربة المخالفين لهم باعتبار أنهم مجاربون البدع وهي منكر نجب محاربه ..

٤ - انها كانت كلما مكن لها من قرية أو مدينة أتت على الأضرحة هدماً وتخريباً، حتى لقد أطلق بعض الكتاب الأوربيين على الوهابيين وصف : « هدامي المعابد » ، ولعل ذلك الوصف فيه بعض المبالغة ، لأن الأضرحة ليست معابد ، ولكن يظهر أنهم كانوا يهدمون المسجد مع الضريح أخذاً من الخبر الذي استنكر فيه النبي (ص) عمل بني اسرائيل إذ اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد .

ولم يقف عنفهم عند هذا فانهم جاؤوا الى القبور الظاهرة فهدموها ... وتعلقوا بأمور صغيرة ليس فيها وثنية ولا ما يؤدي الى الوثنية وأعلنوا استنكارها ، مثل التصوير الفوتوغرافي ، ولذا وجدنا ذلك في فتاواهم ورسائلهم التي يكتبها علماءهم وان كان أمراؤهم لا يلتفتون في هذا الى أقوالهم ويضربون بها عرض الحائط .

وانه يلاحظ أن علماء الوهابيين يفرضون في آرائهم الصواب الذي لا يقبل الخطأ ، وفي آراء غيرهم الخطأ الذي لا يقبل التصويب بل أنهم يعتبرون ما عليه غيرهم من إقامة الأضرحة والطواف حولها قريباً من الوثنية ..

ولقد كان ذلك لا ضرر منه أيام أن كانوا قابعين في الصحراء لا يتجاوزونها .. وليس الأمر كذلك الآن .. وقد تصدى لهم الملك الراحل عبد العزيز آل سعود ، وجعل آراءهم لأنفسهم دون غيرهم ، وسار في هذا شوطاً بعيداً .

قلنا : وهنا أيضاً كان الأحرى بالمؤلف أن يتكلم عن الغلاة ، الذين يوجدون في كل مكان ، وفي كل مذهب ، لا عن جمهور العلماء .

عبد الكريم الخطيب

وقال عبد الكريم الخطيب ، في كتابه : « محمد بن عبد الوهاب . العقل الحر والقلب السليم ، المطبوع في مصر عام ١٩٦٠ ، في مقدمة الكتاب :
« ان الدم الذي أريق في سبيل الدعوة الوهابية دم عزيز على الاسلام والمسلمين ..

.. غير أن الحروب الوهابية .. قد كان جانب الربح فيها أكثر من جانب الخسارة ، فيما عاد على الاسلام والمسلمين بسببها من خير كثير .
لقد أيقظت هذه الحروب مشاعر الأمة الاسلامية التي كانت قد خمدت ، وفتحت منها العيون التي عاشت زمنا طويلا في وطأة نوم ثقيل ..

كانت الحروب الوهابية معركة رأي

فما قاتل أصحابها وما قتلوا الا دفاعا عن رأيهم الذي لم يحتمله العالم الاسلامي يومئذ فرمام بالكفر والمروق عن الدين ، ورموه بالكفر والمروق عن الدين أيضا ...

ولقد برئت الدعوة الوهابية من أن يختلط بها هوى أو يطفئ بها زيف أو تمويه انها دعوة باسم الدين والدين ، ما كان صاحبها ولا كان مناصروه يطمعون في شيء أكثر من تحرير العقل الاسلامي ، وتنقية العقيدة الاسلامية من شوائب الشرك والضلal .

ويقول المؤلف ، في أواخر كتابه :

« دعوة محمد بن عبد الوهاب من الدعوات الناجحة بغير شك ، اذا كان مقياس النجاح مقدرا بالنتائج التي تجنى ، والثمرات التي تقتطف ، دون نظر الى الأخطاء التي وقعت عبر الطريق الى الغاية ...
.. اذ خلقت في المجتمع الاسلامي وعيا كان ضائعا ونهت احساسا كان خامدا

وفتحت بصائر كانت مغلقة ..

... ثم ان الدعوة الوهابية من جهة أخرى حملت الناس على أن يلقبوا وجوه الرأي وان يرجعوا الى ما خلف السلف من آراء ومن فكان أن انتهوا آخر الأمر الى الينايع الأولى للاسلام يصدرن عنها جميعاً فبدأت وجهات النظر تتلاقى على حين أخذت شقة الخلاف تضيق ، حتى صار الأمر الى ما نراه اليوم من وحدة تتلاقى عندها جميع الأنظار .

وغير خفي أن الدعوة الوهابية قد اشتطت كثيرا في حملتها على جمهور المسلمين وفي تسفيه كل ما كان عليه المجتمع الإسلامي مما يتصل بالعقيدة ، ونستطيع أن نقول إن هذا الشطط ربما كان شيئاً لازماً، بل ربما كان أمراً مقصوداً دعا اليه الحال التي بلغها المسلمون يومذاك ، وربما كان صاحب الدعوة قد أدرك أنه اذا أخذ بدعوته طريقة الاعتدال لم ينتبه اليه أحد من غشيتهم الغفلة وراى عليهم الجهل ..

وأنه لكي يلفت أنظار المسلمين في كل مكان ، كان عليه أن يبالغ في مقررات الدعوة ... وأن يشتط في تغليظ البدع والمنكرات ... ، ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن أسباب نجاح الدعوة ، فيلخصها في ايمان صاحب الدعوة ، وثبات أنصاره ، وبيعة الدعوة .

لويس شيخو

كتب الأب لويس شيخو ، مقالا في مجلة « المشرق » ، التي يصدرها الآباء اليسوعيون في بيروت ، عام ١٩٢٠ ، تحدث فيه عن نجد ، وبما قاله :
« .. كان الدين بينهم في انحطاط حتى أضحي اسماً فارغاً .. وبقوا على ذلك ردحاً من الزمن حتى قام بينهم « محمد بن عبد الوهاب » .. ينفخ في مواطنه روحاً جديدة ، اقتبسها من أصول الدين الاسلامي مجرداً عما نسبوه اليه من النوافل

والبدع .

وينحصر مذهب الوهابيين في الاقرار بوحداية الله ، واتباع سنة النبي ، وهم في مسائل الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج كسائر المسلمين .
ثم نحدث الأب شيخو عن الأشياء التي انفرد بها الوهابيون فجاء بالعجب العجيب ، مع أنه عربي ويعيش في القرن العشرين ، فقال ان الوهابيين يمنعون عن ذكر النبي في الشهادات ، ومحظرون على الناس اكرام النبي والأولياء ، ومنعوت شرب القهوة .. ثم قال :

« كان « الشيخ » اتخذ له شورى متألفة من ٢٤ صاحباً يتجولون في أحياء البلد ويوقفونه على أدنى مخالفة لهذه الفرائض ، فيوجب على المذنبين الحد ويضربهم بالسياط ويغرمهم الغرائم الطائلة^(١) .

ولما رأى ما قام في وجهه من العوائق لبلوغ غايته .. عرف أنه لن يفوز الا بامتناع الحسام ومراعاة أخلاق العربان .. بالحض على شن الغارات وتهميج المطامع في اغتنام الغنائم .. »

جمال الدين الشيال

ونحدث الدكتور جمال الدين الشيال عن الحركة الوهابية حديثاً غير قصير في كتابه: « محاضرات عن الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الاسلامي الحديث » .

وبما قاله :

« الحركة الوهابية أولى الحركات الاصلاحية التي ظهرت في الدولة العثمانية ، أو

١ - يعني الكاتب بالشوري : المطوعين ، ولا رجه لتسميتهم بهذا الاسم .

بمعنى أصبح بين الشعوب العربية الخاضعة للدولة العثمانية وستلوا حركات إصلاحية أخرى تبثت في أجزاء أخرى من العالم « الاسلامي » ، بعضها مشابه للحركة الوهابية وبعضها متأثر بها آخذ عنها ...

وظاهرة أخرى تميز هذه الحركة هي ظهورها في إقليم نجد ، في تلك المنطقة الصحراوية المباركة حيث انبثق نور الاسلام الأول ، والبيئة الصحراوية كانت دائماً أصلح البيئات لظهور الدعوات الإصلاحية وخاصة تلك التي تدعو الى دين جديد ، أو التي تقوم على أساس من الدين ، فهذه البيئة تكون عادة بعيدة عن مؤثرات المدنية ، وعن حياة الحضر التي أفسدها الانغماس في الترف ، وسكان هذه البيئة يكونون عادة - لبساطتهم وبدائيتهم - أكثر تقبلاً لمثل هذه الدعوات الإصلاحية التي تدعو الى التقشف والبساطة والجهاد والمثل العليا .

أمين سعيد

ويقول الاستاذ أمين سعيد ، في كتابه : « هذا هو كتاب سيرة محمد بن عبد الوهاب » :

« حققت الدعوة لنجد آمالها ، وقد بدأت في محيطها ، أول ما بدأت ، فانشأت لها مجتمعاً إسلامياً سليماً ، يؤمن بالتروحيد ويعظم شأنه ويسير على هداه ولا يدعو مع الله أحداً .

ولا يزال هذا حاله ، لم يتبدل ولم يتغير منذ عهد الشيخ حتى يومنا هذا ، فهو يصدع بالحق ويؤمن به .

وانبثقت عن هذا المجتمع دولة عربية كريمة ، نشأت في ظل الدعوة وآمنت بها ، فكانت أول دولة عربية كبرى يؤسسها العرب في داخل جزيروهم بعد دولة الخلفاء الراشدين ، فاتبعت طريقهم وترسمت خطاهم ، فسادت وشادت .. »